مغامرات في الفضاء والخيال العلمي

١٤

سرُّ الكائنِ الجبَّار

تأليف
رؤوف وصفي

رسوم
هاجر محمود

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

دار المعارف
تأسست ١٨٩٠

رئيس مجلس الإدارة

د. حسن أبو طالب

كتب أطفال وناشئة

سلسلة مغامرات فى الفضاء والخيال العلمى

تم التنفيذ فى مطابع دار المعارف
- ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة -
جمهورية مصر العربية

بطاقة الفهرسة
إعداد الهيئة المصرية العامة لدار الكتب والوثائق القومية
إدارة الشئون الفنية

وصفى، رؤوف.
سر الكائن الحيار/ تأليف رؤوف وصفى؛ رسوم: هاجر محمود ـ ط ١
ـ القاهرة: دار المعارف، [٢٠١٥]
٩٢ ص: ١٦,٥ سم. (مغامرات فى الفضاء والخيال العلمى: ١٤)
تدمك ٥ ٨٢١٧ ٠٢ ٩٧٧ ٩٧٨
١ - قصص الأطفال.
٢ - القصص العربية.
٣ - القصص العلمية.
(أ) محمود، هاجر (رسام).

ديوى ٨١٣,٠٢

رقم الإيداع ٩٩٣٠ / ٢٠١٥ ٧ / ٢٠١٠ / ١٧

لا يجوز استنساخ أى جزء من هذا الكتاب بأى طريقة كانت إلا بعد الحصول على تصريح كتابى من دار المعارف.

الناشر: دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج. م. ع.
هاتف ٢٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٢٥٧٤٤٩٩٩ E-mail: maaref@idsc.net.eg

كَانتِ المُغَامرَاتُ الْمُذهلَةُ لدوريَّةِ الفضاءِ فى أعمَاق الكونِ.. تُروى وكأنَّها أساطيرُ عَبْرَ كلِّ كواكبِ المنظومةِ الشمسيةِ.

القائدُ (عادل أشرف).. الذى يُطلَق عليهِ (كابتنُ الفضاءِ).. طويلُ القامةِ.. رياضيُّ القوامِ.. ملامحُهُ جادةٌ وسيمةٌ.. تُظْهرُ شخصيّةً قيادية آسرةً..

والكُمبيوتـرُ الطَّائـرُ (نبيل صبرى).. الـذى عَاشَ من قبلُ كإنسـانٍ. ولكنَّه أصْبحَ الآن مُجردَ عقلٍ حرٍّ نابضٍ.. يَسـكنُ داخلَ هيكلٍ معدنـيٍّ صغيرٍ.. من الأعضاءِ الصناعيّةِ.. ومُزوَّدٌ بأجهزةِ اسْتشـعارٍ عـن بُعْدٍ.. ووسـائلَ للطيـرانِ.. ورقائقَ إلكترونيةٍ..كمبيوتر بيولوجىّ!

والروبـوتُ العمـلاقُ (مارد).. كتلةٌ معدنيـةٌ ضخْمةٌ.. بها أَحدثُ معداتٍ إلكترونيّة: دَوائـرَ متكاملةٍ.. موصّلاتٍ فائقَةٍ وعقلٍ صنَاعى به وحداتُ منْطق..

كانـت دوريّةُ الفضـاءِ تُوقع الرعبَ فى قلـوبِ الكائناتِ الأُخرى المعاديَـة.. والخارجينَ عَنْ قوانيـنَ اتحادِ كواكبِ مجَرة الطريقِ اللَّبنى.. ولكنْ:

«فـى مُغامرتِهم الأخيرةِ.. تَوغلُوا مُنذُ عدةِ شُـهورٍ.. دَاخلَ الظَّلام اللانهائىِّ.. فى أعماقِ الكونِ.. ولَمْ يعودوا بعد ذلكَ.. واختفَوا.. وراءَ النجومِ البعيدةِ!».

(١)

كانَ صـوتُ المذيع فـوقَ شاشـةِ التليفزيونِ المُجسَّـم.. الَّتـى تَحتلُّ الجدارَ بأكمله.. مُفْعَمًا بالمشـاعرِ الصَّارمةِ الَّتِى لا تتعدَّى عمقَ شـفتيْهِ.. حدَّقت فيهِ (شيرين مجدى).. وهىَ جالسـةٌ وحيدةٌ فى مكتبهَا بقاعدةِ حمايَـة كواكبِ المنظُومة الشمسـيَّةِ.. وبدتْ لهَا كلماتُ المذيـع باردَةً.. وكأنهَا مرْثيةٌ تقالُ فِي ذكرَى ميتٍ.

وبإيماءةٍ تُعبر عن الرفضِ.. تحرّكتْ أصابعُهَا لإغلاقِ جهازِ التليفزيُـون.. بيدَ أنهَا توقَّفت فجأةً للحظَاتٍ.. كمَا لوْ كانتْ تتوقُ لسمَاع اسمِ شخصٍ.. سوفَ يذكرهُ المذيعُ:

-... لقـد ذهبَ الثلاثةُ نحوَ الظلامِ الحالكِ.. خارجَ مجرَّة الطريقِ اللبنِى.. منذُ ثلاثة شـهورٍ مَضَـت.. ولا أحدَ يعرفُ

الهدفَ الذى يبحثونَ عنــه.. فقد كانت مُهمةُ دوريّة الفضاءِ هذه المرّةِ.. سريةً للغايةِ.. ومن المعرُوفِ أنهم وَعَدوا بالعودةِ خلالَ شهرٍ وَاحدٍ.

تريَّــثَ المذيعُ للحظاتٍ.. حَتَّى تُعرضَ صورُ كابتنِ الفضاءِ (عادل أشــرف).. والكمبيوترِ الطائرِ (نبيل صبرى) والروبوتِ العملاقِ (مارد). ثمَّ استطردَ قائلاً:

-... لكنهــمْ لــمْ يعودُوا!! تُرى هل وَاجــه كَابتن الفضاء وزميــلاهُ.. فِــى عمــقِ الكــونِ.. قوَى هائلــةً لمْ يســتطيعُوا التغلــبَ عليها؟ أمْ أنَّهــمْ دُفنوا فِى أحد القبــورِ الفضائيةِ.. الثقوبِ السوداءِ؟!

صرخت (شيرين) وهى تبكِى:

- لاَ..

ثــمَّ أطْبقتْ يديهَا علــى جهازِ إغلاقِ التليفزيونِ.. وســادَ صمتٌ مروعٌ.. إلا أن صدَى صوتِ المذيعِ.. كان ينسَــابُ عبرَ شرايينِ قلبِها وعقلِها متسائلاً:

– هلْ هذا حقًا هو ما حدث؟

ولَمْ يستطعْ قلبُها.. أو عقلُها.. أن يعطىَ الإجابةَ.. نَهضتْ من مكانِها بجسمِها الرياضىِّ الرشيقِ وسارتْ فى تثاقلٍ وتوترٍ نحوَ النافذةِ الكبيرةِ المطلةِ على شـرفةٍ متسعةٍ.. ثمَّ اتجهتْ إلـى الخـارجَ.. ووقفتْ هناكَ تتأملُ سـماءَ الليلـةِ الحالكةِ الظَّـلام.. أخذتْ تنظَرُ، بعينينِ تمتلئانِ بالدموعِ، إلى الفضاءِ اللانهائـىِّ.. أطْبقتْ أصابعُهَا المرتعدَةُ بقوةٍ علَى «الدرابزين» المعدنىِّ الفضىِّ.. ثُمَّ صرختْ مرةً أخرى للكونِ بأسرِهِ:

– لا...

ولـم تُجبِ الكواكبُ.. ولا النجومُ.. ولا المجرةُ بأسـرِها! أعادَها لنفسِـها صوتُ باب مكتبِها وهو يُفتحُ.. فاستدارتْ.. وَهى تمسحُ عبراتِها.. ثُم نادَتْ:

– (شوقى)؟

قالَ الرجلُ الذى حضر توًا:

– أجلْ يا (شيرين)!

ثمَّ ألقى بنفسِهِ على المقعدِ.. وأخذَ يراقبُها بعينيْنِ باردتيْنِ مجهدتيْن.. بينما كانتْ تقتربُ منه ببطءٍ.

كان رجلاً قصيرَ القامةِ.. قويًا ممتلِىء الجسـم.. وقد بدتْ عليهِ علاماتُ الإجهادِ.. إذ أنهكتْهُ سنواتُ الخدمَةِ.. وجعلتْه أشيبَ، إنه خبيرُ الفضاءِ (شوقى سليمان)..

قال لها بتؤدةٍ:

– لقدْ تحدثتُ إلى المسئولين يا (شيرين)!.. و..

قاطعتْه بلهفةٍ.. وتهيُّبٍ:

– وماذَا قالُوا لكَ؟!

أجابَها بقسوةٍ على الرغم منهُ:

– قالوا إنَّ كابتنَ الفضاءِ (عادل أشرف) قد ماتَ.. وكذلكَ زميلاهُ.. وإنَّ عليهم الذهابَ.. لاستلام مختبرِ القمرِ..!

كانَ صوتُه غريبًا فى شدةِ انخفاضِهِ.. ولَمْ تلتَقِ عيناهُ بعينىْ (شيرين) على الإطلاقِ.. ثمَّ أردفَ قائلاً:

– لقد فعلتُ كلَ ما فى وسْعِى.. ولكنهمْ لمْ يستمعُوا إلىَّ..

أطْرقتْ (شيرين) ثم قالتْ بصوتٍ مفعمٍ بالحزنِ:

– أعتقـدُ أنَّـه كان يجـبُ عليهمُ الانتظـارُ.. لفترةٍ أطولَ قليلاً.. ردَّ عليها بِصدقٍ:

– لقـد انتظَروا فعـلاً.. فالمـدةُ القانونيةُ لرجـالِ الفضاءِ المفقودِيـنَ.. هـيَ شَـهران.. وبلغتْ فى حالتِنا هـذهِ ثلاثةَ شهورٍ، دونَ أىَّ رسالةٍ!

انحنتْ (شيرين) لتجعَلهُ ينظرُ إليْها، وقالتْ هامسةً:

– هلْ تعتقدُ أنَّهم سوفَ يعودُون؟

تدلتْ كتِفا (شوقى).. وبَدا أنَّه ينكمشُ فجأةً.. وهوَ يتجنبُ نظراتِها القويةَ إليهِ.. ثمَّ أخذَ يغمغمُ:

– لقـد ذَهبُوا بعيدًا جدًا هذه المرةَ.. وحاولُوا اختراقَ آفاقٍ بعيـدةٍ.. لمْ يخترقْها أحدٌ من قبلُ فى سـعيهم للوصولِ إلى مجرةِ (أندروميدا)..!

تريَّث لبرهة ثم أضافَ قائلاً:

– وكان يتعينُ علينا عدمَ تركِهم يذهبَون!

صاحتْ (شيرين) قائلةً:

– لقـد حاولتُ مَنعهُم! إلا أنكَ تعلمُ بنفسِـكَ.. كمْ كانتْ الفرص المتاحةُ لى قليلةً!

حقًّا.. لقـد كانت الفرص قليلـةً!! إذْ كانَ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف).. والكمبيوترُ الطائرُ (نبيل صبرى).. والروبوتُ العملاقُ (مارد).. تواقِينَ لمعرفةِ سرِّ مجرَّةِ (أندروميدا)..!

لقـدْ تَوغلُـوا فى ماضِى هـذهِ المجرةِ.. لسـنواتٍ بعيدةٍ.. وأماطو الغموضَ عنْ قصةِ الإمبراطوريةِ الفضائيةِ القديمةِ بِها.. الحضـارةِ الراقيةِ.. التى كانتْ تسـيطرُ علـى النجوم.. منذُ مليون عـام فى الماضى! وكانوا يَعلمـونَ القليلَ عن أَجنَاسِ الكائناتِ الغريبةِ.. التى تسـكنُ كواكبَ مجرةِ (أندروميدا).. ولهذا كانَ على دوريةِ الفضاءِ الذهابُ إلىَ هناكَ.. لاكتشـافِ حقيقةِ السرِّ الكونىِّ.. عنْ أصلِ هذهِ الأجناسِ!

(٢)

قالتْ (شيرين) هامسةً:

– لا يُوجـد هنـاكَ خطرٌ يتعرضونَ لـهُ.. حتَّى فى أعماقِ الكونِ.. بالقدرِ الذى يصعبُ على دوريةِ الفضاءِ مواجهتَهُ..

نظرَ إليها (شوقى) للمرةِ الأولَى.. وقالَ:

– (شيرين)! لا أحدَ قويًّا أمام الموت!

وبدا وجهُهُ مكتئبًا.. وشاحبًا.. ثم أردفَ قائلاً:

– لابُـدَ لنا مـن مواجهةِ الواقـع!.. والتخلـى تمامًا عن الأمانى المسـتحيلةِ.. فإذا كان يجبُ أن يعودوا.. لكانوا قَد عَادوا بالفعلِ الآنَ!!

أخذتْ (شـيرين) تُحدِّقُ فيهِ بذهولٍ كمنْ صُدمَ بمَا سمعَ.. أما هوَ فكانَ ينظرُ إليهَا.. بشـفقةٍ وعطفٍ يصعبُ تحملهُما.. قال بتؤدةٍ:

– إنكِ يَا (شيرين).. تدركينَ ذلكَ أيضًا!

كانَ يَبدو كما لوْ أنَّ الحياةَ تنسـحبُ عنْ وجهِها.. عندَما همستْ بصوتٍ غيرِ واضحٍ:

– أجلْ!

واسـتدارتْ ببـطءٍ.. فتألقَ شـعرُها الكِسـتنائىُّ الفاتحُ.. ثـمَّ ضَغطـتْ بجبهتِهَـا المرتعـدةِ علَـى النافذةِ البـاردةِ.. واستطردَتْ قائلةً:

– أجــلْ إننى أدركُ هــذا!.. لقد فقدَ اتحادُ كواكبِ مجرةِ الطريقِ اللبنىِّ بطلاً عظيمًا.. هو كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف).. وكذلكَ فقدتُه أنَا..

شعرتْ بيدِ (شوقى) الخشنةِ فوقَ كتفِها.. وهوَ يقولُ:

– لمْ يكنْ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشــرف) لكِ على الإطلاقِ يَا (شيرين).. كذلكَ لمْ يكُنْ لأى شخصٍ آخر.. بل كان لاتحادِ الكواكبَ.. وينتمِى للوطنِ الكبيرِ.. المنظومةِ الشمسيَّةِ!

همستْ (شيرين) قائلةً:

– أعرفُ ذلكَ! إلَّا أننِى لمْ أستطع مقاومةَ التفكيرِ فى أنَّه سوفَ يأتِى إلىَّ.. ذاتَ يوم..

ثمَّ توقفتْ عن الاسترســالِ.. ولمْ تتكلــمْ مرةً أخرى لفترةٍ من الوقتِ..

وبــزغَ القمرُ ناصعَ البياضِ.. باردًا.. وحيدًا.. فى الســماءِ المظلمةِ..

نظرتْ إليه بعينيْنِ جامدتيْنِ ثمَّ قالتْ:

– إنهمُ الآنَ فِى طريقِهم للاستيلاءِ علَى آخرَ ما تبقَّى لكابتنِ الفضاءِ (عادل أشـرف).. مسـقطِ رأسـهِ.. ومنزلـه.. وتجاربِهِ العلميةِ.. وكلِّ الأعمالِ التى أنجزَها من أجلِ الجنسِ البشرىِّ!

تنهدتْ (شيرين) ثمَّ أردفَتْ بصوتٍ مفعمٍ بالأسى:

– إنهم لا يريدونَ تركَ أىِّ شىءٍ عنه.. حتى الذكرياتِ!

ردَّ (شوقى) بكلِ ما أمكنَه من لباقةٍ:

– حاولـى ألَّا تَنظـرى للأمرِ بهذهِ الطريقـةِ! كانَ يجبُ عليهمُ أن يَفعلوا ذلكَ يا (شيرين) إنَّ جميعَ المُعداتِ المتطورةِ التـى توجدُ بمختبرِ القمرِ خطيرةٌ للغايـةِ لو تُركَت لأَيدٍ غيرِ أمينةٍ!.. لقـد حاولتْ كائناتٌ غريبةٌ عـدةَ مراتٍ أنْ تجتازَ حواجزَ الأمنِ لسـرقةِ أسـرارِ كابتنِ الفضاءِ (عادل أشرف).. وربمَا ينجحُ أحدُها فى ذلكَ ذَاتَ يومٍ..!

تريث لبرهةٍ ثمَّ أردفَ بسرعةٍ:

– إن المعرفـةَ العلميـةَ.. والمعلوماتِ السـريةَ الموجودةَ هناك.. صارَ من الواجبِ استخدامُها لصالحَ الجنسِ البشرىِّ.. وليسَ ضياعُها!

أومأتْ (شيرين) برأسِها قائلةً:

- إننى أدركُ هذا!

ثـم قطبَـتْ جبينَها فجـأةً.. ولمعـتْ عَيناهـا الذهبيتَانِ وقالتْ:

- الأسـرارُ!! هناكَ أشـياءٌ معينةٌ لمْ يكُن الكابتنُ (عادل) يريـدُ أن يراهـا أىُّ شـخصٍ.. حتى المسـئولين فى اتحاد الكواكب.. إنها أشياءُ غيرُ مأمونةٍ فِى تداولها حتَّى بينَ كبارِ العلماءِ.. عندَ قيَامِهم بإجراءِ التجاربَ العلميةِ عليهَا..

نظرتْ بعيدًا للحظاتٍ ثمَّ استطردتْ هامسةً:

- إننَا لا نسـتطيعُ أن نخذلَه فى هـذَا الأمرِ على الأقلِ!

حدَّقَ فيهَا (شوقى) ثم قالَ:

- إنكِ على حقٍ يا (شيرين).. إنَّنى أتذكرُ بعضَ التجاربِ التى أرَانا إيَاها.. والبعضَ الآخرَ الذى لمَّح لنَا بهِ..

وفكَر تفكيـرًا عميقًا لعدةِ ثـوانٍ.. متأملاً وجهـاتِ النظرِ العديدةِ.. ثمَّ قالَ أخيرًا:

– أجـلْ.. لدَينا وقتٌ كافٍ.. ليـسَ كثيرًا.. إلا أنَّه يكفِى إذَا أسرَعنا!

وفجأةً.. دبتِ الحيويةُ من جديدٍ فى جسـدىْ (شـيرين) و(شوقى).. والآن يوجدُ ما يُمكن عملَه للتخفيفِ عن عقليهما ذلكَ التفكيرِ الطويلِ.. الحزينِ.. فى أمورٍ يصعبُ تحمُّلها..

قالتْ (شيرين) بحماسٍ:

سـوفَ نأخذُ هذهِ الأشياءَ السِّـرِّيةِ من مختبرِ القمرِ.. مهْمَا وَاجهنا من صعوباتٍ ثُم نخبئُهَا فى مكانٍ آمنٍ.. وبعدَ ذلكَ إذا وجدنَا.. وتوَّقفتْ برهةً قصيرةً ثُمَّ استطردتْ بضعفٍ:

– وعندمَا نجدُ أنه من الأمانِ إعلانَ هذهِ الأسرارِ.. فسوفَ نعرفُ حينئذٍ أينَ نجدُها..

قالَ (شوقى) مؤكدًا:

– ربمـا كانَ كابتـن الفضاءِ (عادل).. يريـدُ منَّا أن نفعلَ ذلكَ.. ثُمَّ ابتسـمَ بغموضٍ.. واسـتدَارَ قبلَ أن يصلَ إلى بابِ الخروجَ.. وأضافَ:

– لوْ قُبضَ علينَا فسوفَ نُحاكمُ أمامَ المجلسِ العسكرِي للكواكبَ!

ولكننَا ثعلبانِ ماكرانِ.. ويصعبُ القبضُ علينَا! هيَا بنَا..

لمْ يُوجه رجالُ الأمنِ أىَّ أسئلةٍ إلى خبيرِ الفضاءِ (شوقِى سليمان).. ولا لرائدةِ الفضاءِ (شيرين مجدى).. وأخلوا لهمَا الطريقَ الذى سيمرانِ فيه إلى المطارِ الفضائى.. بكفاءةٍ وسرعةٍ.. وفى غضونِ ساعةٍ واحدةٍ.. انطلقتْ مركبةُ الفضاءِ (ابن ماجد).. فى اتجاهِ القمرِ..!

(٣)

لمْ يتحدثْ أىٌّ من الاثنينِ كثيرًا.. وأخذتْ (شيرين) تراقبُ الكتلةَ المظلمةَ الكبيرةَ.. لكوكبِ الأرضِ.. وهى تبتعدُ عنهمَا.. ثمَّ نظرتْ من خلالِ الفتحةِ الأماميةِ إلى المكانِ المقصودِ.. وفكرتْ فى كلِّ المراتِ التى كانَ فيها كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف).. قدْ انطلقَ خلالَ نفسِ الطريقِ الفضائىِّ.. فى طريقِ عودتهِ إلى منزلهِ فوقَ القمرِ.. مسقطِ رأسهِ..! إنَّه مهدٌ غريبٌ.. لطفلٍ..

القمرُ الخَالى من الحياةِ.. والذى يُوقِعُ فى النفسِ الروعةَ.. أوْ الرهبةَ!.. وطفلٌ من أبوينِ من الجنسِ البشرى:

أحدِ علماءِ كوكبِ الأرضِ وزوجتِه اللذين ذهبا إلى القمرِ للقيام بأبحاثٍ سـرِّيةٍ.. معَ زميلِهما.. الذى كانَ ذاتَ يوم.. إنسـانًا اسمُه (نبيل صبرى). ثمَّ أصبحَ الكمبيوترَ الحىَّ.. الطائرَ!

وقدْ قامُوا بتشـييدِ مختبرِ القمرِ هنـاكَ.. وأدَّى عمَلهُم إلى تصنيعِ الروبوتِ العملاقِ (مارد).. وبعدَ الموتِ المأسوىِ لوالدىْ (عادل أشرف).. فى انفجارٍ مُروِّعٍ..! أصبحَ الكمبيوترُ الحىُّ.. والروبوتُ العملاقُ.. هما الوصِيانِ على الطفلِ (عادل)..

وتخيلتْ (شـيرين).. كيفَ كانَ يجـبُ أن تَكونَ الأمورُ فوقَ القمـرِ.. حتى ينمـوَ (عادل).. وأن يحصلَ علـى نظراتِه الأولَى لكوكبِ الأرضِ.. من خلالِ السـقفِ الزجاجـى للمختبرِ.. وأن يسـمعَ أولى الكلمـاتِ من الأفواهِ الغريبـةِ.. للكمبيوترِ الطائرِ.. والروبـوتِ العملاقِ.. وأن يقومَ بألعابـهِ الطفوليةِ جيئةً وذهابًا.. معهمَـا.. فى دهاليزِ المختبرِ.. المحفورِ أسـفلَ (بحرِ الغيومِ)..

تخيلتْ أيضًا صورةَ ولدٍ صغيرٍ ذى شعرٍ أسودَ ناعمٍ.. ينظرُ من القممِ القمريةِ الوعرةِ.. مرتفعاتِ (كيبلر) و (ماكروبيوس).. والسهولِ الصخريةِ الرهيبةِ.. محيطِ العواصفِ.. بحرِ الهدوءِ.. وادى أفلاطون.. وأخذتْ تتصورُ كم كانَ وحيدًا فى بعضِ الأوقاتِ.. وكانت هناك دموعٌ فى عينيهَا الذهبيتيْن الواسعتيْن.. إلا أنهَا لمْ تكُن من أجلِ الطفلِ الوحيدِ..! ولَكن من أجلِ الرجلِ.. الذى صارَ إليهِ هذا الطفلُ.. فقد كانتِ الوحدةُ هى ميراثَ كابتنِ الفضاءِ (عادل أشرف).. والتى ميزَته بصفاتٍ وقدراتٍ خاصةٍ.. جعلتْه فى منزلةٍ متفردةٍ ومميزةٍ عن الرجالِ الآخرينِ..

ومن الأمورِ التى تتفقُ وتنسجمُ مع الكابتنِ (عادل أشرف).. أنه إذا كانَ عليهِ أن يموتَ.. فإنَ ذلكَ لابد وأنْ يتمَّ فى عُزلةٍ تامةٍ.. بعيدًا فى عمقِ الكونِ!

★★★

لمْ يلبثْ سطحُ القمرِ البارزُ لأعلَى تجاهَهما.. أن أصبحَ واحةَ نجاةٍ.. فى خلفيةٍ من السوادِ والبياضِ الشديدينِ.. وبدتْ

القممُ الحادةُ المرتفعةُ للفوهةِ البركانيةِ (تايكو).. وكأنها تُمزِّق السماءَ الخاليةَ من الهواءِ.. كالمخالبَ الجائعةِ..!

وقدْ مـرَّتْ مركبةُ الفضاءِ (ابن ماجـد) فوقَها.. ثمَّ هبطتْ وهـيَ تُطلِقُ نيرانَها النفاثةَ المتوهجـةَ.. بغازِ الهيدروجين.. الوقودِ المتطورُ، إلى أرضيةِ وادى (بحرِ الشتاءِ)..

ارتدى كلٌّ من (شيرين) و(شوقى) رداءَ الفضاءِ فى صمتٍ.. وخرجَا من المركبةِ.. إلى سطحِ القمرِ..

لقـدْ كانا هنَـا من قبلُ.. ومن ثمَّ فهمَـا يعرفانِ طَريقهما.. وجـدَا المدخـلَ الخفـىَ للمختبرِ السـرى.. وقامَ (شـوقى) - بجهدٍ وعنايةٍ - بتشـغيلِ وسـائلَ التحكمِ.. التى فتحتْ بابَ الحراسةِ..

ولاَ يتوقـعُ الأشـخاصُ الذينَ لا يعرفونَ أرقـامَ فتحَ البابِ الفولاذىِّ الحصينِ.. إلا الموتَ المفاجىءَ الرهيبَ!

لقـد كانَ أعضـاءُ دوريـةِ الفضـاءِ.. يعرفونَ جيـدًا كيفَ يحفظونَ أسرارَهم..

انزلـقَ قطاعٌ من صخرةٍ قمريةٍ رماديةٍ جانبًا.. كاشـفًا عن سُـلَّم مُظلم.. فهبطَا لأسفلَ.. ثمَّ أُغلقتْ الصخرةُ مرةً أخرَى.. فوقَ رأسيهمَا..

استَمرا فى الهبوطِ لأسفلَ مسافةَ عشرين مترًا نحوَ الحاجزِ الهوائـىِّ.. وكانتْ وسـائلُ تحكُّمِه الآليةِ.. تعملُ بسـهولةٍ وكفاءةٍ.. وانتظرَ الاثنانِ حتَّى أظهرتْ شاشـاتُ الكمبيوترِ أنَّ غرفةَ العزلِ قد امتلأتْ بالهواءِ.. وبعدَ ذلك خلعَ كلٌّ منهمَا رداءَ الفضاءِ.. وذهبَا تجاهَ الأبوابِ الداخليةِ للمختبرِ السرىِّ..

اضطربتْ (شيرين) أولَ الأمرِ.. وقالتْ همسًا:

– لا أعتقـدُ أنَّنى أسـتطيعُ الدخولَ.. وأنـا أعلمُ أنَّه غيرُ موجـودٍ هنَاك.. لا أسـتطيعُ! فهنا منزلُـه.. والمكتبُ الذى كان يعملُ علَيه.. وفراشُـه.. والأشـياءُ القليلـةُ التى تركَها وراءَه للأبدِ!

وتشـبثتْ بذراعِ (شوقى) باكيةً.. فأخذَ يربتُ عليهَا بيدَيه الكبيرَتين.. وهمسَ لها قائلاً:

– هيَـا بنَـا الآنَ.. فإنَّ الكابتنَ (عـادل) لا يريدُ أن يراكِ وأنتِ تبْكينَ!

فأخذتْ نفسًا عميقًا.. وقالتْ:

– إنَّنى لأتعجبُ!!

قالتْها فى نوبةِ انفجارٍ عاطفىٍّ مفاجىءٍ.. تعبيرًا عن القسوةِ الفظيعـةِ التى لاقتْهـا من القدرِ.. هذِه القسـوةِ التى جعلتْها تحبُ كابتنَ الفضاءِ (عادل أشرف)..!

ثمَّ استطردت قائلةً من بين دموعِها:

– إننى لأتعجبُ.. إن كانَ يهتمُ على الإطلاقِ بمَا إذا كنتُ أبكى أمْ لا!

وأعادتْ بسـرعةٍ رأسـهَا للخلفِ.. وتقدمتْ لتمرَّ من الحاجزِ الهوائىِّ الداخلىِّ.. وتبعهَا (شـوقى) على مسـافةٍ قصيرةٍ.. كانَ السُلَّمُ أمامهمَا مظلمًا.. مخيفًا.. وبدأ فى النزولِ إلى أسفلَ.. وهمَا يشعرانِ بدوىٍّ وقعِ أقدامَهما.. على السردابِ الصخرىِّ.. مدركيْنِ للصمتِ المحيطِ بهمَا.. كانَا يعلمانِ.. أنهمَا اثنانِ متطفِّلانِ.. فى مكانٍ خفىٍّ.. مهجورٍ.. داخلِ عالَمٍ.. لا حياةَ فيه!

وبمجـرد أنْ هبطَـا السُّـلَّمَ.. صرختْ (شـيرين).. ودوَّتْ الصَّيحةُ من خلالِ صدى الصوتِ الخشـِن.. الذى يتردَّدُ بينَ الصخورِ الناريةِ..

وصاحَ (شـوقى) أيضًـا بصوتٍ مرتفعٍ.. عميـقٍ.. أجشٍ.. إذ خرجتْ فجأةً.. قبضةٌ حديديةٌ فى الظلامِ والسـكونِ.. من مكانٍ مَا.. واتجهتْ نحوَ (شـيرين) و (شـوقى).. وأمسكَتْ بهمَـا! وأصبحَـا محبوسـيْن.. ومقيديْـن.. ولا يسـتطيعانِ الحركـةَ.. ثمَّ ظهرَ ضوءٌ قويٌّ.. مباغتٌ.. فأدارتْ (شـيرين) رأسهَا.. فتألقَ شعرُها الكستنائىُّ القصيرُ..

بـدا خلفهُمَا ظـلٌ هائلٌ.. لمخلوقٍ غيـرِ آدميٍّ.. ذى وجهٍ معدنىٍّ.. وكانتْ قوةُ الذراعينِ المعدَنيتين.. قاسيةً.. وجبارةً.. لا يمكنُ وصْفَها.. أو الفكاكَ أو الهروبَ منهَا..!

وأخـرجَ (شـوقى) من حنجرتـهِ صوتًا غريبًا.. غيـرَ مألوفٍ بالمـرةِ.. توقفتْ (شـيرين) عن المقاومةِ.. وارتخى جسـمُها.. وظهرتْ غشـاوةٌ أمامَ عينيها.. وأخذَ فمُها يُكوِّنُ كلمةً.. رددتْها

الجدرانُ الصخريةُ.. مرَّاتٍ ومرَّاتٍ.. وكانتْ هذِه الكلمةُ اسمَ:

– (مارد)!.. (مارد).. (مارد)..!

٤

كانَ (مـارد) وهوَ الروبـوتُ العملاقُ.. أحدَ أفـرادِ دوريةَ الفضاءِ! وأحستْ (شيرين) بنفسِها وهى تجلسُ بلطفٍ شديدٍ.. وسمعتْ صوتَ (مارد) ذا الصريرِ المعدنىِّ يقولُ معتذرًا:

– (شيرين)! (شـوقى)! لمْ أكنْ أعرفُ أنكما هنَا.. كانتْ إشـارةُ الخطرِ تدوِّى.. إلا أنَّه لمْ تكنْ هناكَ وسيلةً لمعرفةِ مَنْ القادمُ!

وكانَ هنَـاك صـوتٌ آخـر.. ناعمُ يُشـبه الصفيـرَ يقولُ بغضبٍ:

– (مـارد)! مَا الذى فعلتَه؟ لقد روَّعتَها وجعلتَها تشـرفُ علَى الهلاكِ! انظرْ.. إنها تقتربُ من حالةِ الإغماء!

وفعلاً.. أُغمِى علَى (شـيرين).. ثـمَّ اختلطتْ الأضواءُ معَ الظـلامِ.. وكانَ لديها إحسـاسٌ بأن شـخصًا مـا يحملُها..

وصـارتْ بعدَ ذلكَ ممددةً فى مكان مَـا.. طياتٌ من الضبابِ الأبيـضِ الرقيـقِ.. ذى الحركةِ الدواميَّةِ.. وكانتْ الأشـكالُ تتأرجحُ فوقَها.. مبهمةً.. وغيرَ واضحةٍ علَى الإطلاقِ:

(شـوقى).. والشـكلُ المعدنىُّ الضخمُ (مـارد).. يلوحانِ كطيفيْنِ من بعيدٍ..

وجاءَ كائنٌ آخر.. صندوقٌ صغيرٌ مكعبُ الشكلِ.. شفافٌ.. مرتفـعٌ عن الأرضيـةِ بعدة أمتارٍ.. وهوَ شَـىءٌ غريبٌ تمامًا.. إلا أنَّـه مألوفٌ لِمَـن يعرفونُه.. فهوَ الجسـمُ الصناعىُّ الذى يغلفُ العقلَ المفكرَ الحىَ.. للكمبيوترِ الطائرِ (نبيل صبرى).. ذكرَ اسمهَا.. فأجابتْه بضعفٍ:

- (نبيل)!

واحاطَ بها الضبابُ الكثيـفُ مرةً أخرى.. وكانتْ تبحثُ وهىَ فاقدةَ الأملِ.. ثمَّ أحسَّتْ بالإجهادِ.. وبخفقانِ قلبِها.. ولمْ تعدْ ترى شيئًا..

وكانَ (نبيل) يعرفُ أنَّها لابد وأنْ تسألَه.. إلَّا أنَّها لمْ تفعلْ..

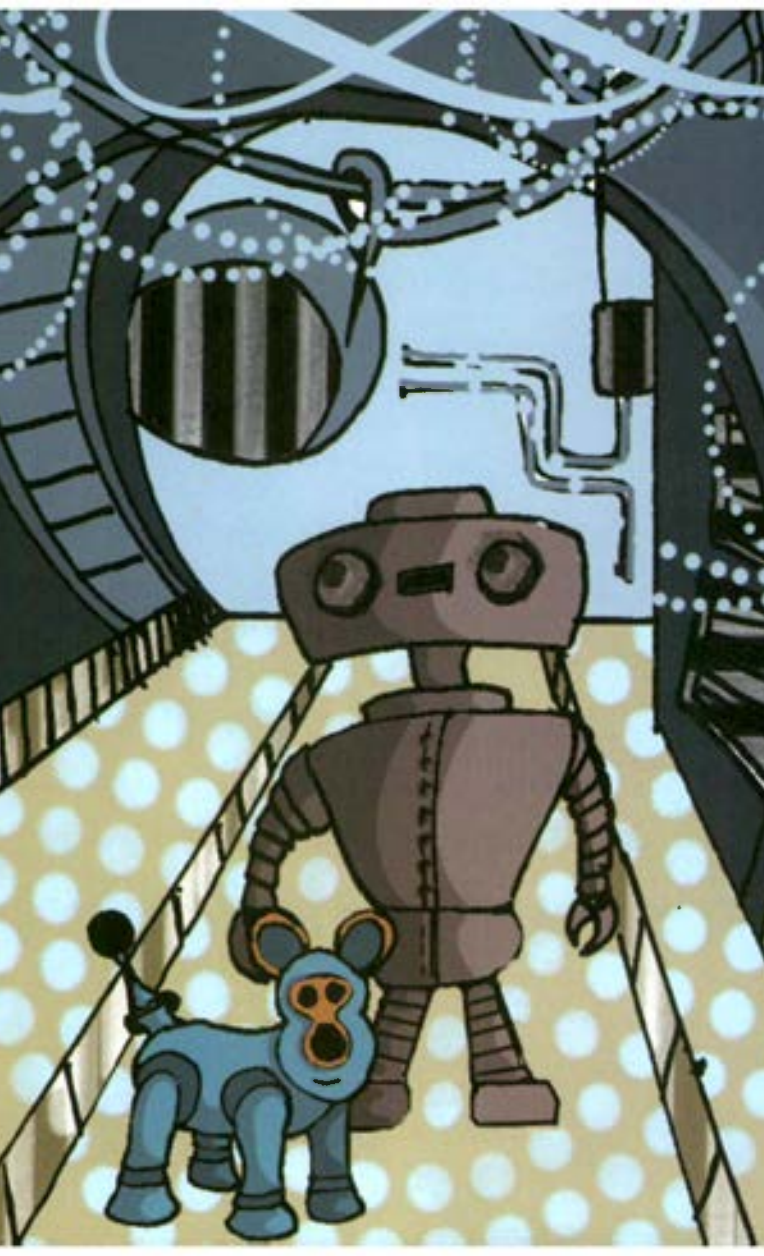

وفجـأةً.. نادَاها صـوتٌ عميقٌ.. من مكانٍ مَـا.. رُبما فى كونٍ آخر! إنَّه لمْ يكنْ صوتًا مثلَ الآخرين..

– (شيرين)! (شيرين)!

ومَا إن قالَها.. حتَّى وثـبَ عقلُها.. وقلبُها تجاهَه.. وهىَ تقاومُ الضبابَ الشديدَ المحيطَ بهَا.. وكانتْ هناكَ غشاوةُ دوّارةٌ من الضوءِ.. أحسـتْ بكيانِها كُلِّه يقفزُ إلـى أعلَى.. انحَنى فوقَها.. وعينَاهُ الرُماديتَانِ قلقتَانِ.. ولانتْ ملامحُهُ.. وقسماتُه الحـادَةُ الثاقبةُ.. التى كانتْ تتذكرُها جيدًا.. وأصبحتْ الآنَ رقيقةً.. وادعةً.. حساسةً..

همستْ قائلةً:

– (عادل)! أمَازلتَ حيًّا.. ولمْ تُصبْ بسوءٍ؟!..

ثمَّ بدأتْ فى البكاءِ.. فأمسكَ بيدِها فى حنانٍ..

وفجاةً اعتدلتْ جالسـةً.. ودفعتِ الكابتنَ (عادل أشرف) بعيـدًا.. وحدَّقـتْ فـى وجهه وعينَاهـا ممتلئتـانِ بالدموعِ والغضبِ.. وصاحتْ قائلةً:

– لمَاذا لمْ تُخبرْنَا؟ لِمَ تركتنَا نعتقدُ أنكَ هلكتَ؟ ألاَ يوجدُ لديكَ قلبٌ على الإطلاقِ؟

ونظرتْ حولهَا تِجاه الآخرين (شوقى) و (نبيل) و (مارد).. فاستداروا نحو الجدارِ الصخرىِّ.. وهمْ مرتَبكون..

حتـى (نبيـل صبرى) الذى عـاشَ عمرًا طويـلاً.. داخلَ جمجمةِ إنسـانٍ.. وأصبحَ يعيشُ الآنَ.. داخل صندوقٍ شفافٍ مكعبِ الشـكلِ.. مسـتخدمًا مصلاً بدلاً من الدماءِ، ومضخةً تنبضُ مكانَ القلبِ.. تحركَ هذَا العقلُ الحىُّ.. على أشـعتهِ الكهرومغناطيسـيةِ غيـرِ المرئيةِ.. والتى تعتبرُ وسـيلتَه فى التنقلِ.. وكانتْ عينَاه ذاتُ العدسـاتِ الكوارتزيةُ.. تنظرَانِ بعيدًا عن (شيرين) والكابتنِ (عادل)..

وخفَّـض الروبـوتُ العملاقُ (مـارد).. نظراتِـه اللامعةَ.. المتألقةَ..

قالتْ (شيرين) وَهىَ توجُه الاتهامَ لكلِّ وردِيةِ الفضَاءِ:

–... لقدْ رجعتمُ سَـالِمين ولـمْ تخبرونَا! ألا تعرِفونَ كيفَ كانتْ مشاعرُنا؟

وكانتْ حينئذٍ ترتعدُ بعصبيةٍ..

تراجعَ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشـرف) للوراءِ قائلاً دونَ أن ينظرَ إليهَا:

- أنَا آسـفٌ يا (شيرين)! فأنَا.. نحنُ.. كنَا نعرفُ حقيقةَ مشَاعَركم! إلا أننَا لمْ نكنْ نستطيعُ أنْ نخبرَ أىَّ شخصٍ.. فلمْ يَحنْ الوقتُ بَعد!

وظهرَ وجهُه فى الضوءِ الشديدِ.. الساقط من قبةِ السقفِ.. متعبًا.. ويمتلىءُ بالتجاعيدَ.. وكانتْ لعينَيه ظلالٌ فيهَا شىءٌ مِن الغموضِ.. والغرابةِ..

حدَّقَ فيه (شوقى).. بنظرةٍ ذاتِ هدفٍ قائلاً:

- لابُدَّ أنَّ لديكَ سببًا قويًّا!

كانَ يودُّ أنْ يحتفظَ باسـتيائهِ وغضبهِ.. نظرًا لكونهِ الأكبرَ سنًا.. وبَدا صوتُه يرتعدُ من التوترِ.. وهوَ يواصلُ حديثَه:

- هلْ وصلتُم إلى مجرةِ (أندروميدا)؟

أجابَ كابتنُ الفضاءِ بإيجازٍ:

– أجلْ.. وصلنَا إليهَا!

وحتى (شـيرين).. نَسِيتْ عواطفَها.. أمامَ الدهشةِ العارمةِ من هذِه الكلماتِ الثلاثِ.. وهمستْ:

– وصلتُم إلَى مجرةِ (أندروميدا)؟

ثمَّ جلستْ بعدَ ذلكَ ساكنةً فى رهبةٍ..

مجـرة (أندروميدا).. أو كمَـا يُطلقُ عليهَا مجـرةُ (المرأةِ المسلسـلةِ).. التى تبعدُ عن كوكبِ الأرضِ بنحو مليونَىْ سنةٍ ضوئيـةٍ.. إنهَا إحدَى جزرِ الكـونِ الهائلةِ، إذ تحتوى علَى حوالـى ٣٠٠ بليون نجم.. أى أكثرَ مـن ضعفِ عددِ النجوم فى مجرتِنا (الطريق اللبنِّى).. ويبلغُ قطرُها ١٣٠ ألفَ سـنةٍ ضوئيةٍ.. بينمَا قطرُ مجرتِنا ١٠٠ ألفِ سنةٍ ضوئيةٍ فقطْ!

حقًا.. إنهَـا رحلةٌ كونيةٌ رائعةٌ لا تُصدَّقُ.. لقد كانَ كابتنُ الفضـاءِ (عادل) يَحلُمُ بهذهِ الرحلةِ.. ثمَّ اسـتطاعَ أن يحققهَا فعلاً.. تساءلَ (شوقى) متهيبًا:

– هل وجدتَ ما كنتَ تبحثُ عنهُ.. سرَّ الكائناتِ الغريبةِ.. بمجرةِ (أندروميدا)؟!

هزَّ كابتنُ (عادل) رأسَه.. وأجابَه بشكلٍ غيرِ مباشرٍ:

– لقدْ حدثتْ مفاجآتٌ مروِّعةٌ.. ووقعتْ مشاكلُ، وكَادتْ تتحطمُ سفينتُنا الفضائيةُ.. وكنَا محظوظِين أنْ عدنَا مرةً أخرى.. وابتسمَ، علَى نحوٍ مفاجىءٍ، ابتسامةً تبدوَ طبيعيةً.. إلا أنهَا فى الواقعِ.. بَدتْ غريبةً.. غيرَ مألوفةٍ! واستطردَ الكابتنُ (عادل) موضحًا:

– هلْ تثقانِ بِى؟ إنَّ لدىَّ عملاً يجبُ أنْ أقومَ بهِ.. وَأريدُ أنْ تَعُودا أنتُما الاثنانِ إلَى كوكبِ الأرضِ الآنَ.. وسوفَ أكونُ قريبًا منكُما.. وبعدَ ذَلك سأخبرُكمَا بكلِ مَا تريدانِ معرفتَه..

نَهضتْ (شيرين) وهىَ تُحدِّقُ فى وجهِ الكابتنِ (عادل) فى تحدٍّ وقالتْ:

– أنتَ خائفٌ علينَا إذَا بقيْنا هنَا.. لِمَاذَا؟

وكانتْ إجابتُه السريعةُ.. ذاتَ حماسٍ غيرِ مقنعٍ.. عندَما قالَ:

– هَذا هراءٌ! أرجو أن تَذهبى معَ (شوقى)!

ثـمَّ نظرَ إلَى خبيرِ الفضاءِ (شـوقى) مِن فوقِ كتفِها.. نظرةً ذاتَ مغزًى وأضافَ:

- خُذْهَا يا (شوقى) وَعُدْ بها إلى كوكبِ الأرضِ..

وتكلَّم الكمبيوترُ الطائرُ.. الحيُّ.. بصوتِهِ الآليِّ الأجشِ:

- إنَّ الكابتـنَ (عادل) علَى حقٍ يَا (شـيرين).. فإنَّ لدينَا الكثيـرَ مـن العملِ علَى العيناتِ التـى أحضرنَاها معنَا.. من مجرةِ (أندروميدا).. ولن تَستفِيدى شـيئًا مـن تعطيلنَا عن تحقيقِ أهدافِنَا!

وجاءَ إليها الصوتُ المعدنىُّ المميزُ لـ (مارد) مدويًا:

- بالتأكيـدِ.. فلا توجـدُ أىُّ متعةٍ بالنسـبةِ لكِ.. عندما تنظرينَ إلى مـجمـوعـةِ صخورٍ.. وأشياءَ قديمةٍ..

فصاحتْ (شيرين) غاضبةً:

- أعلمُ أنكم خائِفونَ علينَا نحنُ الاثنَين.. (شـوقى) وأنَا.. وإلَّا مَـا كنتمُ تريدونَ منَّا أنْ نذهبَ.. لقدْ أحضرتُم معكُم عندَ عودتِكم من مجرةِ (أندروميدا).. شيئًا هامًا.. وخطيرًا!!

تريثَتْ للحظاتٍ لتلتقطَ أنفاسَها ثمَّ أردفَتْ بسرعةٍ:

-.. ولهَـذا فأنتم خائفون.. بالقـدرِ الذى لا يجعلُ لديكُم الجرأةَ على أنْ يعرفَ أىُّ شخصٍ.. أنكم عدتُم!

لمْ يجبْها أحدٌ..

ووسطَ الهدوءِ الكئيبِ.. الذى كانَ يسودُ مختبرَ القمرِ.. أحسَّ كلٌّ من (شوقى) و(شيرين) بشىءٍ مَا.. مُخيفٍ! رُعبٍ غامضٍ.. قَادم من وراءِ أغوارِ مَا بينَ المجراتِ الكونيةِ..

وتحدَّثَ (شوقى) بعدَ عدةِ ثوانٍ.. مُوجهًا سؤالَه لكلِّ دوريةِ الفضاءِ:

- ما الذى وجدتُموه بعيدًا هنَاك؟

أجابَ الكابتن (عادل) بتؤدةٍ:

- إنَّ بعضَ تاريخِ السلالاتِ القديمةِ.. لجنسِ الكائناتِ الغريبةِ الأولِ.. لقـدْ نزَحوا منذُ زمنٍ طويلٍ مضَى.. إلى أماكنَ أبعدَ فى الكونِ.. وكانَ هذا يمثلُ انحسارًا للإمبراطورياتِ الفضائيةِ..

نهضَ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف) وهوَ يضيفُ:

-.... إلا أنَّنَا وجدنا كواكب كانُوا يَعيشونَ فوقَها.. ومُدنًا مهجورةً.. خامدَة.. يحوطُها الغموضُ.. والسريَّةُ..

وقالَ الكمبيوترُ الطائرُ.. العقلُ الحيُّ (نبيل صبرى) بطريقتهِ الدقيقةِ الخاليةِ من العواطفِ:

- لقدْ عثرنَا على الكثيرِ من التسجيلاتِ والنقوشِ المحفورةِ والكتاباتِ، ولَكن بلغةِ الإمبراطوريةِ الفضائيةِ الأولَى.. وتُسمى لغةُ (الكادار).. وكانتْ حالتُها شبهَ مدمرةٍ.. ومطموسةٍ بفعلِ الزمـنِ.. غيرَ أنَّهـا تَروى لنَا حكاياتٍ أغـربِ من الخيالِ.. حدثتْ فى مجرةِ (أندروميدا)!

وبدأَ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف) يروى القصة.. وهوَ أشبهُ مَا يكونُ برجلٍ مبهورٍ بحُلم مَا.. أكبرَ من ذاتِه..

انحَنى إلَى الأمام برأسِـه ذى الشـعرِ الفاحمِ.. وقسـماتِه الحادةِ.. وكانَ من الواضحَ أنَّ عينَيهِ تخترقانِ حواجزَ وحجبَ الزمانِ والمكانِ.. ثمَّ قالَ ببطءٍ:

- إنكما تَعرفانِ بعضَ هذهِ الأمورِ قبلَ الآنَ.. فقدْ اشترَكتُما فى اقتفاءِ أثرِ حقيقةِ الكائناتِ الغريبةِ التى تُعتبرُ المخلوقاتُ

العاقلةُ الوحيـدةُ فى الكونِ بجانبِ الجنسِ البشَـرى.. عبرَ حشودِ النجوم بمجرةِ الطريقِ اللبنِى التى ننتَمِى إليهَا.. حتَّى وجدنَا أنَّ الإجَابةَ تَكمنُ فى مكانٍ أكثرَ بُعدًا وراءَ آفاقِ الفضاءِ الخارجىِّ.. فـى مجرةِ (أندروميدا).. والحقيقـةُ أننَا نعرفُ قدرًا لا بأسَ به من المعلوماتِ والحقائقَ.

تريَّثَ قليلاً ثم أردفَ قائلاً:

– إننَا نعرفُ أن سـلالةَ الكائناتِ الغريبةِ.. تمتدُ جذورُها حتى مصدرَ نشـأةٍ مجهولٍ! وأنهَا انتشـرتْ عبـرَ الكونِ.. وتَكوَّنـتْ منهَا إمبراطورياتٌ فضائيةٌ.. وأجناسٌ كثيرةٌ.. فوقَ مجـراتٍ عديدةٍ.. مثلِ مجرةِ (ماجيلان) الكبرَى.. وإننَا نعلمُ أيضًـا بعـضَ التفاصيلِ عَن كيفيةِ كفاحَ السـلالةِ القديمةِ من الكائناتِ.. وحروبِهَا من أجلِ التفوقِ والسيطرةِ.. وكَان أقوىَ هذهِ الأجناسِ.. سلالةَ (شاندراكور)!

توتَـرتِ العضـلاتُ حـولَ فمِـه بقوةٍ.. ثـمَّ كرَّرَ الاسـمَ مرةً أخرَى:

- إن سلالةَ (شاندراكور) هى الكائناتُ الذكيةُ المُروِّعةُ.. التى انتصرتْ فى حروبهَا ضدَ الكائنَاتِ الأخرَى.. وهىَ سلالةٌ عظيمةٌ.. ومنتشيةٌ بالكبرياءِ.. ولا تحبُّ التطفلَ أو الإزعاجَ.. وكانَ هدفُنا تحقيقَ الاتصالِ بين الجنسِ البَشرىِّ.. وجنسِ (شاندراكور)!

توقفَ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف) لفترةٍ قصيرةٍ.. وهوَ تحتَ تأثيرِ انجذابِه.. وشغفِه بالحُلمِ الذى يراودُه..

وشَعرَ (شوقى) بقوةِ الرِّباطِ بينَ أفرادِ دوريةِ الفضاءِ.. ولمْ يكنْ هوَ و(شيرين) - برغمِ رصيدِ الحُبِّ الكبيرِ الذى يُكنانِه لَهم - بقادِرِيْن علَى اختراقِ هذا الرباطِ الداخلىِّ الوثيقِ بين الثلاثةِ!

قالتْ (شيرين) بهدوءٍ:

- لَقد وَجدتمْ فى مجرةِ (أندروميدا).. مَا هوَ أكثرَ مِنَ المعرفةِ.. ويجبُ أنْ تُخبرَنى بذلكَ يَا (عادل).. فإنَّنى لنْ أذهبَ مِن هنا!

قالَ (شوقى) مؤكدًا:

- ولا أنَا! فنحنُ لمْ نتراجعْ أمامَ أىِّ خطرٍ حتَّى الآنَ!

نظرتْ عينَا كابتنِ الفضاءِ (عادل).. تجاهَ الكمبيوترِ الطائرِ قائلاً:

- مَا الذِى يَتعينُ علىَّ عملُه يَا (نبيل)؟

أجاب العقلُ الحى:

- لقدْ أعلنَا قرارَهمَا.. فليكُن مَا يُريدانِ!

قالَ الكابتنُ (عادل):

- حَسنًا جدًّا.

ووضعَ يدَيهِ علَى كتفيْهمَا.. وأمسكَ كلًّا منهُما بقبضةٍ قويةٍ.. وابتسمَ.. وكانتْ هذهِ المرَّة.. ابتسامةً حقيقيةً.. من القلبِ!

وأضافَ:

- كنتُ أتمنَى هَذا!

ثـمَّ قادَ الكابتـنُ (عادل) الجميعَ فـى الطريقِ الصَّخرىِّ.. وعبَـرَ الغرفـةَ المركزيةَ الكبيرةَ بالمختبـرِ.. وهىَ ذاتُ حيزٍ دائرىٍّ فسـيحٍ..منحوتٍ فى الصّخرِ القمرىِّ.. وبَدتِ الحُجرةُ

مكتظةً بالأجهـزةِ والمعداتِ من جميعِ الأنواعِ.. أجهزةِ ليزرِ تعملُ بغازِ ثانى أُكسيدِ الكربونِ.. موصلاتٍ فائقةٍ.. كمبيوتراتٍ بيضاويةٍ ذاتِ رقائقَ بيولوجيةٍ..

وكانـتْ هنَاكَ حجراتٌ ودهاليزُ أصغرُ مفتوحةٍ علَى الغرفةِ الرئيسيةِ.. وعنابرُ للمعيشةِ.. وغرفٌ لحفظِ التموينِ.. ويؤدِى الممرُ إلى حظيرةِ سفينتِهم الفضائيةِ (النيزك)..

وجاءَ حيوانـانِ غريبانِ صَغيرانِ.. مُختلفـانِ عن بعضِهمَا تمامًـا، مندفعيْـنِ نحـوَ (شـيرين) و (شـوقى) ووثبَا حولَ سيقانِهمَا..

ووومضَـتْ علَـى وجـهِ (شـيرين) المجهـدِ ابتسـامةٌ قصيرةٌ وقَالتْ:

- أمازلتَ يا (نبيل) تَحتفظُ بحيوانيْكَ المُدلليْنِ؟!

وكانَ (زومـر) الكائـنُ الصغيـرُ القمـرىُّ.. آكلُ المعادنِ.. ذو اللـونِ الرماديِّ.. والأنفِ الكبيرِ.. و (كاسـو) السـمين.. ذو اللـونِ الأبيضِ.. والفـراءِ الكثيفِ.. محبوبيْـنِ لكلِّ أفرادِ

دورية الفضاء.. إلَّا أن ترحيبَهما بالوثبِ المَرِحَ.. لمْ يستطعْ أن يُخفِّفَ من الروَعِ.. والفزَعِ.. الذى كانَ الجميعُ تحتَ تأثيره.. وقد انسحبَ الكائنانِ الصغيرانِ للخلفِ بعيدًا.. كما لو كانَ قد مسَّهما الخوفُ عندمَا شاهدا البابَ الذى كان الكابتنُ (عادل) يقودُ الجميعَ تجاهه، وهو بابٌ لإحدى الحجراتِ الصغيرةِ.

فتحَ كابتنُ الفضاءِ البابَ وقالَ:

- مِنْ هنا..!

ووقفَ كلٌّ من (شيرين) و (شوقى) ساكنَيْنِ.. وهما ينظرانِ إلى الدَّاخلِ..

كانتْ هناكَ آلةٌ مَوْجودةٌ.. فى وسطِ الحجرةِ ذاتِ الجدرانِ الصخريةِ.. وهىَ عبارةٌ عن قفصٍ لَه قضبانٌ من البلُّورِ المتألق.. أخذتْ تتذَبذبُ بإيقاعٍ منتظم.. من الطاقةِ المجهولةِ المصدرِ. بحيـــثُ إن القضبانَ أخذتْ تُومضُ بأطرافٍ ماســيةٍ.. تُصدِرُ ضوْءًا إشــعاعيًّا.. بالإضافةِ إلى بلُّورةٍ كبيرةٍ مثلثةِ الشَّــكلِ.. فِى أعلَى القفَصِ..

قالَ الكمبيوترُ الطائرُ:

– إنَّ هـذهِ الآلـةَ الغريبـةَ تَصنعُ رُكـودًا تامًّا لنفسِـهَا.. لِهذَا ينعـدمُ الزمنُ.. وتتوقفُ الحركةُ داخلَهَا.. ويحدثُ هَذا بسببِ ثقبٍ أسودَ دقيقٍ جدًّا.. يُمدُهَا بطاقةٍ هَائلةٍ..!

انكمشـتْ (شيرين) تجاهَ الكابتنِ (عادل).. وكانتْ عيناهَا ثَابتتيْن.. نحوَ شيءٍ مَا.. ظلَّ ساكنًا هنَاك.. داخِلَ هَذا القفصِ البللوريِّ العجيبِ!

وبَدا لذلك الشـيءِ.. قلبٌ داخليٌّ مركزيٌّ ذو ظلامٍ كثيفٍ.. حَالكٍ.. وتحيطُ به قلنسـوةٌ من أغطيـةٍ.. وأحْجبةٍ مُظلمةٍ.. ومَعقُودةٍ.. ومُصْمَتةٍ.. لا تُشـبهُ على الإطـلاقِ لحمَ الكائناتِ الحيةِ!

وكان شـكلُ هذا المخلوقِ الغريبِ.. ووظائفهُ الحيويةُ.. أمورًا عجيبةً تمامًا.. بالمقياسِ العلميِّ المعروفِ لتطويرِ المخلوقاتِ.. إذْ أن العيونَ لا تستطيعُ إدراكَ شكلِهِ.. ففى السكونِ المُريبِ لهَذا المخلوقِ ذى الرداءِ القلنسـوىِّ.. وأحْجبَتِه العائمةِ.. المطويةِ..

المظلمةِ.. يُعطِى إحساسًا بعدم ثباتِ الشكلِ.. وأنَّه دائمُ التغيُّرِ وحتَّى الآنَ فإنَّ معرفة عدم وجودِ إحساسٍ أو وعْيٍ.. كَانَ مُقترنًا بإدراكِ وجودِ طاقةٍ فى ذلكَ المخلوقِ المظلمِ.. المُحيِّرِ..

وأحسَّت (شيرين) أنَّ جسدَهَا ينكمشُ علَى نفسِهِ.. فى هروبٍ أو نكوصٍ غريزىٍّ.. وكَان يَبْدو أنَّها تشعرُ فى قرارةِ نفسِهَا.. بموجاتٍ متقلبةٍ كالمدِّ والجَّزرِ.. تفوحُ منهَا رائحةُ الشَّرِّ.. والخَطرِ.. اللذَين ينسَابانِ من هذا الكائنِ الغريبِ.. وهوَ إحساسٌ يمتَلىءُ بالرُّعبِ.. عندَ مشاهدةِ شىءٍ مَا.. يختلفُ تمامًا عن جميعِ أوجهِ الحياةِ.. التى رأتْها من قبلُ..

همستْ قائلةً:

- مَا هَذا؟!

أجَابَهَا الكابتنُ (عادل):

- إنَّه وَاحدٌ من أوائلَ سادةِ المجراتِ.. إنَّه أحدُ (الشاندراكور).. وبطريقة مَا.. ولمجردِ معرفةِ أنَّ لَه اسمًا.. جعلَه أقلَ هَوْلاً!

تَحاملتْ (شـيرين) علَى نفسِـهَا.. لتنظرَ مـرةً أخرى إلَى الكائنِ الغريبِ..

قالَ الكمبيوترُ الطائرُ ببطءٍ:

– لقـدْ وجدنَاه فى إحدى المدنِ القديمـةِ المحطَّمةِ.. فى كوكبٍ.. بمجرةِ (أندروميدا).

ردَّ (مارد)مُصحِّحًا:

– أنَا الذى وجَدتُه! عِنْدمَا اقتحَمتُ هَذا السِّردابِ عُنوةً.. أسفلَ قاعةِ الشموسِ التِّسعين.. ولوْلاَ مَا قمتُ بهِ منْ مجهودٍ.. لمَا كانَ فى استطاعتِكم أنْ تَروْه!

قالَ (نبيل) بسخريةٍ:

– (مـارد) له قدرةٌ عاليةٌ على حمـلِ الأعباءِ.. لَكن العقلَ ضعيفٌ!

ولَكن لمْ يبتسِمْ أحدٌ..

فهَـذا المخلـوقُ الأسـودُ الداكـنُ.. جعـلَ حالتَهُـم النفسيةَ سيئةً..

قالَ (شوقى) متشكِّكًا:

– هــلْ كانتْ هناك منذُ ملايينَ السِّــنين كائناتٌ غريبةٌ.. مثلُ هذا؟!

صمتَ كابتنُ الفضاءِ للحظاتٍ متأملاً.. ثمَّ قالَ بتؤدةٍ:

– أجلْ! لقَد ســيطَروا علَى عددٍ كبيرٍ مِن مجراتِ الكونِ.. ثــمَّ انقضَى عصرُهــم مثلُ الكثيــرِ مِن الأجناسِ والســلالاتِ العظيمةِ..

ويَكمُنُ السببُ الرئيسيُّ لِهَذا فى تغيُّرِ الظروفِ الطبيعيةِ.. ورُبَّما كانَ للإشــعاعاتِ الكونيةِ الَّتى تَشــتملُ على جسيماتٍ دونَ ذريةٍ عاليةِ الطاقةِ.. تأثيرٌ عكســيٌّ على شــكلِ الحياةِ.. لهَذه الكائناتِ الغريبةِ!

قالتْ (شيرين) لاهثةً:

– إنَّ هَــذا الكائنَ ميتٌ! إلاَّ أنَّه ظلَّ محافظًا علَى شــكلِهِ طوالَ هذِه العصورِ!

نظرَ إليهَا كابتنُ الفضاءِ.. نظرةً غريبةً ثمَّ قالَ ببطءٍ:

– الكائنُ الغريبُ مازالَ حيًّا يَا (شيرين)!!

وكانَ رجْـعُ الصَّـدى لكلماتـهِ علَى السـردابِ والجدرانِ الصخريةِ.. مثلَ صوتِ الخطرِ الداهمِ.. المرعبِ..

لـمْ يتكلمْ أحدٌ لفترةٍ من الوقتِ ثمَّ قـدَّمَ الكمبيوترُ الحيُّ.. التفسيرَ التَّالى:

– لقْد أخبرتنَا التسـجيلاتُ والنقوشُ والكتاباتُ القديمةُ.. أنَّ إحدَى سـلالاتِ الكائناتِ الغريبـةِ.. هيَ التى فازَتْ فى حروبِ المجراتِ ضدَّ جنسِ (شاندراكور).. إلَّا أنَّها لمْ تستطعْ تدميرَهم.. وذلكَ لأنَّ شـكلَ الحياةِ عندَهـم مختلفٌ تمامًا.. عنْ أىِّ كائناتٍ أخرَى.. ولمْ تتمكنْ السـلالاتُ المنتصرةُ إلَّا أنْ تسجنَ جنسَ (شاندراكور).. باستخدامِ تجميدِ القوةِ.. مثل هَذا الذى أمامَكم!

تَريَّثَ قليلاً ثمَّ أردَفَ قائلاً:

–... وكانـتْ هنَاك تحذيراتٌ.. فإذَا أُبطلَ تجميدُ القوةِ.. فسوفَ يستعيدُ (الشاندراكور) الحياةَ.. والوعىَ.. وكأنَّ جميعَ هذهِ الدهورِ لمْ تنقضِ وسيستيقظُ بكاملِ قوتهِ..

كمـا أنَّ الكتابـاتِ والنقـوشَ تُحذِّرُ كلَّ مـنْ قرأها مِنْ أنَّ (الشـاندراكور) ذو قوةٍ تَمَلُّكٍ وسـيطرةٍ رهيبتيـن لا تُصدَّقُ.. وطوْقُ النجاةِ منهمَا.. هوَ (ماساتُ القوةِ)!

كررتْ (شيرين) كلماتِه قائلةً:

– إذَا أُبطلَ تجميدُ القوةِ! لاَ.. لاَ يَا (عادل).. بالتأكيدِ إنَّك لنْ.. وأخذَ صوتُها يتضاءلُ.. بينمَا صار وجهُ كابتنِ الفضاءِ.. كأنَّه قطعةٌ مِنَ الجرانيتِ:

– (شـيرين)! سوفَ أكونُ صادقًا معكِ.. إننَا سنعملُ علَى إبطالِها قليلاً.. أىّ بالقدرِ الكَافى لتنشـيطِ وإحيَاء هَذا الكائنِ منْ جديدٍ.. ولكنْ معَ الاحتفاظِ بهِ سـجينًا.. ونحنُ علَى ثقةٍ بأننَا نستطيعُ الاتصالَ بهِ تخاطريًّا.. أىّ بتبادلِ الأفكارِ!

وكانَ مِـنَ الواضـحَ أنَّ كابتنَ (عادل) متوتـرُ الأعصابِ.. وتحتَ تأثيرِ القلقِ والإثارةِ العنيفةِ.. وأخذَ العرقُ يتصببُ منْ كلِّ جسدِهِ..

ثمَّ استطردَ قائلاً:

-... إنَّنا نعرفُ حجمَ المخاطرةِ.. ولكنْ لاَبُدَّ لنَا منْ مواجهتِها حتَّى نُمهِّدَ لأولِ اتصالٍ بينَ الجنسِ البشرى وهذهِ الكائناتِ الغريبةِ الذكيةِ!.. ويمكنُ لهَذا الكائنِ أنْ يخبرنَا عن أمورٍ فى المَاضى البعيدِ.. عنْ تاريخِ الكونِ.. لمْ نكنْ لنعرفهَا على الإطلاقِ!

صمتَ لعدةِ ثوانٍ وأضافَ قائلاً:

-... يجبُ ألاَّ تتعرضَا لهذهِ المخاطرةِ يَا (شيرين).. أنتِ و(شوقى)!

قاطعَاه بصوتٍ واحدٍ:

- كلاَّ.. سوفَ نبقَى!

تنهدَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) وقالَ:

- حسنًا! إنَّنا لنْ نخاطرَ تمامًا بدونِ خطِ دفاعٍ.. فقدْ كَانت هناك فى قاعةِ الشموسِ التِّسعين.. عدةُ ماساتٍ ذاتِ قوةٍ غريبةٍ.. ولاَبُدَّ أنَّ الأجناسَ القديمةَ قَد استخدمتهَا.. عندَ محاولةِ السيطرةِ علَى مجرةِ (أندروميدا).. وعنَدنا هنَا البعضُ منهَا..

ذهبَ إلَى خزانةٍ ضخمةٍ مغلقةٍ فى حجرةٍ جانبيةٍ.. وأخرجَ الماساتِ..

لمْ تكنْ مثلَ الماساتِ الثمينةِ العاديةِ.. بلْ بدتْ ذاتَ شكلٍ دائرىٍّ.. وكبيرةِ الحجـــمِ مثلِ كفِّ اليدِ.. كمَا أنهَا ذاتُ لونٍ أسودَ فاحمٍ.. وكانتْ كلُّ ماسةٍ تشكلُ المركزَ لطوقٍ يُثبَّتُ فوقَ الرأسِ.. مصنوعٍ منْ معدنٍ خفيفٍ.. ذهبىٍّ.. وقد زوَّد الخمسةُ أنفسَهم بهذِه الأســلحةِ الدفاعيةِ.. وذلكَ بوضعِ الأطواقِ فوقَ رؤوسِـــهم.. وتمكَّنَ الكمبيوترُ الطائرُ.. من تأمينِ نفسهِ.. بربطِ ماسةِ القوةِ.. حولَ غلافِه الخارجىِّ الشفافِ!

غمغمَ (مارد) فى حيرةٍ:

– نحنُ لا نعلمُ كيفَ تعملُ هَذه الماساتُ.. والمفروضُ أنهَا ذاتُ فاعليةٍ!

قالَ (نبيل) بطريقةٍ جافةٍ.. وهوَ يطيرُ بالقربِ منهُم:

– أعتقدُ أنَّنا نستطيعُ أنْ نثقَ بالكائناتِ الغريبةِ القديمةِ.. المنتصرةِ.. هَل أنتَ جاهزٌ يَا (عادل)؟

أجابَ كابتنُ الفضاءِ دونَ ترددٍ:

- أجلْ!

- إذنْ دعنَا نذهبُ..

عَـادوا مرةً أخرَى إلَـى داخلِ الحجرةِ الَّتـى بهَا القفصُ البللوريُّ.. وذلكَ الكائنُ الغريبُ .. ذو الرداءِ القلنسوىّ..

وشـاهدَ كلٌ مـنْ (شـيرين) و (شـوقى) جهـازًا طويلاً.. رماديَّ اللونِ.. يشبُه الصندوقَ .. ومُركَّبًا علَى واجهتهِ مضخمٌ للصوتِ.. وأخبرهمَا (مارد):

- هَذا هوَ المترجمُ التخاطرىُّ الآلىُّ.. الَّذى قمنَا بتجهيزه.. وهوَ يُقوِّى أساسًـا الأشـعةَ الكهرومغناطيسـيةَ الضعيفةَ التى تصدرُ عنِ المخِّ.. ويسمحُ بنقلِهَا منْ مكانٍ لآخَر.

وشرحَ الكمبيوترُ الطائرُ الأمرَ موضحًا:

- إنَّ الماسـاتِ تحمِـى من الهجوم الفكـرىِّ.. والعقلىِّ.. بإبطـالِ جميعِ النبضـاتِ التخاطريـةِ الخارجيـةِ.. ونحنُ نسـتطيعُ طرحَ الأفـكارِ.. إلَّا أنَّه لاَ يمكنُ سـماعَ الإجاباتِ التخاطريةِ عليهَا.. غيرَ أنَّ هَذا الجهازَ سـوفَ يأخذُ نبضاتِ

الأفكارِ منَ الكائنِ ثمَّ يترجمُها إليكترونيًّا إلَى موجاتٍ صوتيةٍ فى حدود ٢٠,٠٠٠ ذبذبةٍ فِى الثَّانيةِ.. أىْ صوتٍ مسموعٍ.. وهكذا يمكننَا الاتصالَ بالكائنِ الغريبِ.. دونَ خطرٍ!

واتجَه إلَى كابتنِ الفضاءِ.. الَّذى فتحَ مفتاحَ تشغيلِ المترجمِ الآلىِّ.. ثمَّ سارَ بخطواتٍ متثاقلةٍ إلَى القفصِ البلُّورىِّ..

بسطَ يدَيه ثمَّ حركَ وحدةَ المقاومةِ المتغيِّرةِ.. بعنايةٍ وحرصٍ شديدَيْن.. بمقدارِ درجةٍ واحدةٍ.. ثمَّ درجَتين.. عندئذٍ خبا وميضُ الضوءِ النابضِ الإشعاعىِّ.. بقدرٍ بسيطٍ فى البلُّورةِ المثلثةِ الكبيرةِ.. وخففتْ القضبانُ البلُّوريةُ منْ درجةِ بريقِهَا.. وفجأةً لاحظَ الجميعُ أنَّ الكائنَ الغريبَ القلنسوىَّ الشكلِ.. قَدْ تقلقلَ فِى رقادِهِ..

ابتعدَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) عنِ القفصِ.. والكائنِ.. ووقفَ الجميعُ سَاكنِينَ.. مشدوهِينَ.. مُنتظرينَ تطورَ الأحداثِ..

بعدَ ذلكَ التفَّتْ أغطيةُ وأحجبةُ المخلوقِ الغريبِ.. وانتقلتْ بضعفٍ.. وبحركةٍ دوَّاميةٍ.. حولَ قلبِهِ المركزىِّ..

وكانتْ هنَاك قشعريرةٌ رقيقةٌ.. نفذَتْ إلَى العقولِ.. منْ خلالِ حواجزَ ماساتِ القوةِ.. أدَّتْ إلَى الإحساسِ بغشاوةٍ خفيفةٍ.. منَ الرعبِ.. لقدِ استيقظَ الكائنُ الغريبُ.. الرهيبُ!

(٥)

أدركَ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف).. بجسمهِ المتشنجَ.. المتخشبِ.. ذلكَ السكونَ المروِّعَ.. الَّذى أصبحَ يسودُ المكانَ.. وقَدْ توتَّرتْ.. وشُدتْ عضلاتُ جسدهِ إلَى حدِ الانهيارِ.. وكانَ يكْمنُ فِى أعماقِ نفسهِ.. خوفٌ لمْ يَعهدْه مِن قبلُ.. فِى جميعِ أطوارِ حياتِه المملوءةِ بالمغامراتِ.. رعبٌ غريزىٌّ لا يظهرُ عادةً إلَّا فِى الكابوسِ.. أخذَ قلبُه يدقُ فِى إثارةٍ وعنفٍ.. جعَلا مِن الصعبِ عليهِ أنْ يتنفسَ!

★★★

تزحزَحتِ الأحجبةُ المُظلمةُ.. وأخذتْ تلتفُ بحركةٍ دوَّاميةٍ مِن داخلَ القفصِ البلُّورىِّ.. وبذلَ الكائنُ الأسودُ

جهدًا فِى زحزحةِ أطرافِه.. وفِى التحسُّسِ.. والاختبارِ الحذرِ لمَـا حولَه.. وذلكَ فِى أثناءِ مقاومتـهِ البطيئةِ للركودِ الجزئىِّ الَّذى كانَ لا يزالُ مُتأثرًا بهِ..

ومسَّت الأغطيةُ والأحجبةُ.. القضبانَ المتألقةَ.. ثمَّ تراجعتْ وظلتْ ساكنةً.. إلَّا أنهَا لمْ تعدْ كمَا كانتْ مِن قبلُ.. فقدْ دبتْ فيهَا الحيـاةُ الآنَ.. وأخذتْ تتموجُ بقـوةٍ رهيبةٍ.. واثقةً مِن نفسِهَا.. رابضةً.. ترقبُ مَا حولهَا.. وتنتظرُ..!

فِـى ذلكَ الوقـتِ.. كانَ كابتنُ الفضاءِ (عـادل).. يعلمُ أنَّ الكائنَ الغريبَ يراقبُهُ..!

وفجـأةً.. بدأَ القلبُ المركزىُّ المُظلِمُ.. أسـفلَ الأحجبةِ.. يومض بشكلٍ كئيبٍ..

فكَّـرَ الكابتنُ (عادل) فِى السـدمِ الضبابيةِ المُظلمةِ.. الَّتى شـاهدَها فِى أعماقِ الكونِ.. وتذكَّرَ الثقوبَ السـوداءَ.. القبورَ الفضائيـةَ! وهِى تلتهمُ ملايينَ النجومِ.. إلَى مصيرٍ مجهولٍ.. ثمَّ نظرَ إلَى هَذا القلبِ المركزىِّ الوَاعى.. وأحسَّ بأنَّه يتصفُ

بالـذكاءِ.. والحكمةِ.. شـعرَ بأنَّـه أمامَ قوةٍ كونيـةٍ كبرَى.. لا تُقاومُ.. مثلِ الموتِ! قوةٍ أنشبتْ مخالبَها الحادةَ.. الماكرةَ القاسيةَ فِي أعماقِ عقلِه ثمَّ انسحبتْ تلكَ المخالبُ تمامًا مثلمَا فعلَ الجسـدُ المادىُّ للمخلوقِ.. وقَد قاومتْ ماسـاتُ القوةِ.. ذلكَ التأثيرَ الرهيبَ للكائنِ..

ولاحـظَ الكابتنُ (عادل).. أنَّه وكذلكَ الآخرونَ.. مغلَّفين الانَ بهالاتٍ معتمةٍ.. تُغطيهُم بالكاملِ! من الرأسِ.. حتى القدمَين..

وقدْ أدركَ بعدَ ذلكَ أنَّ (ماسـاتِ القوةِ).. عبارةٌ عَن أجهزةِ اسـتقبالٍ ومحـوِّلاتٍ معقدةٍ.. تعملُ على تجميـعِ قوةِ الدفعِ التخاطريةِ لعقلِ الكائنِ الغريبِ.. ثمَّ تضخمُهَا.. وتستخدمُهَا كحاجزٍ وقائىٍّ.. ويعتبرُ ذلكَ تطبيقًا.. متطورًا.. لمبدأِ الحروبِ القديمـةِ البدائيةِ.. وهوَ محاربةُ الخصمِ.. بأسـلحتهِ ذاتِها.. الَّتى هىَ مكمنُ قوتِه..!

أصبحَ الكابتنُ (عَادل) متحمسًـا.. ومُمتنًّا كُليةً.. لماساتِ القـوةِ.. كانـتْ اللمسـةُ الضعيفةُ لعقـلِ الكائـنِ الغريبِ..

ضدَ عقلِه هوَ.. تشبهُ لمسةَ البرودةِ القارصةِ المميتةِ.. فى الأعماقِ البعيدةِ للكونِ!

تحدَّثَ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف) مُعبرًا عنْ أفكارِه.. بكلماتٍ واضحةٍ.. بحيثُ يسمعُها الآخرُون.. ويفهمونُهَا بسهولةٍ..

وكانَ هَذا هوَ الاختبارَ.. فإذا امتلكَ الكائنُ الغريبُ مقدرةً تخاطريةً حقًّا.. كمَا كَانوا هُم مقتنعِين بذلكَ.. فلاَبُدَّ منْ هتكِ أستارِ الزمنِ.. والتوَّغُلِ فِى أعماقِ تاريخِ الكونِ.. وبالتفكيرِ القوىِّ.. والواضحَ.. يمكنُ عرضَ الفكرةِ.. بحيثُ تنطلقُ إلَى الخارجَ.. مِن خلالِ الهالةِ المعتمةِ لماساتِ القوةِ!

★★★

أطلقَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) أفكارَه:

– هَلْ يمكنُكَ سمَاعى.؟!

انتظرَ دونَ إجابةٍ.. وكأنَّ المخلوقَ الغريبَ.. يراقبُ ويفكرُ قبلَ أنْ يَرد..

غاصَ قلبُ الكابتنِ (عادل).. فهلْ أساءَ فهمَ السجلاتِ والنقوشِ الَّتى كانتْ محفورةً علَى جدرانِ المدنِ القديمةِ.. فِى مجرةِ (أندروميدا)؟ كلاَّ.. إنَّه لا يعتقدُ ذلكَ..؟

أعادَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) إطلاقَ أفكارِه:

– أريدُ إجابةً! هلْ تسمعُ أفكَارى؟

سادَ صمتٌ تامٌ.. وخفقتْ أحجبةُ الشَّر.. الَّتى مِن داخلِها جثمَ القلبُ الأسودُ.. فِى توترٍ.. ولَمْ يكنْ هناكَ صوتٌ مِن المترجمِ التخاطرىِّ.. وبدونَ سببٍ معينٍ.. محددٍ.. أحسَّ كابتنُ الفضاءِ (عادل) بأنَّ صمتَ الكائنِ الغريبِ.. هوَ نوعٌ مِن السخريةِ منهُ!

سارَ بخطواتٍ واسعةٍ إلَى الأمامِ. بينمَا يتأرجحُ فِى داخلَه الآنَ.. غضبٌ شديدٌ.. نشأ بعضُه مِن الخوفِ..

ثمَّ قالَ بعنفٍ:

– أنتَ لاَ تسمعُنى! ولاَ تستطيعُ الكلامَ! إذنْ سوفَ تنامُ مرةً أخرَى! مَدَّ يدَه تجَاه جهازِ المقاومةِ المتغيرةِ..

وعندئذٍ تموجتْ الأغطيةُ بقوةٍ.. وأعطَى القلبُ المظلمُ ومضةً عنيفـةً.. وصدَر صوتٌ عالٍ علَى نحوٍ مفاجئٍ.. فِى هَذا الجوِ المتوترِ.. الصريرِ المعدنىِّ للمترجمِ التخاطرىِّ الآلىِّ:

– إنَنى أسمعُك أيهَا الإنسانُ!

سَرتْ بين المشَاهدين.. همساتٌ لاهثةٌ.. وتصبَّبَ مِن جسم كابتنِ الفضـاءِ.. عرقٌ غزيرٌ.. أنْهَى قشـعريرَته.. فقَدْ تحققَ الهدفُ المطلوبُ!

غيرَ أنَّ كابتنَ الفضاءِ لَمْ يبعدْ يدَه.. عنِ المقاومةِ المتغيرةِ.. وأخـذَ ينظرُ فِى خطٍ مسـتقيم.. إلَى قلـبِ الكائنِ الغريبِ.. وجعلَ تفكيرَه قويًّا ومُسيطرًا:

– أنـتَ تعلـمُ بعدمِ قدرتِـكَ علَى الهربِ! وأنَّـه يُمكنُنى تحريكَ يدىَّ.. فتَجد نفسَك فاقدًا للوعىِ والإحساسِ..

ومرةً أخرَى.. لمْ يصدرْ أىَّ صوتٍ..

استطردَ الكابتنُ (عادل):

–... إنَك تدركُ هَذا.. أليسَ كذَلك؟

وفِي هــذِه المرةِ.. أجابَ الصوتُ الآلــيُّ.. الثاقبُ.. ببطءٍ مضجرٍ:

- إنَّنى أعرفُ هَذا..

كانَ كابتنُ الفضاءِ يبذلُ الجهدَ.. ليفوزَ بالتفوقِ النفســي.. علَى عقلٍ ذكيٍّ.. وغريبٍ.. بالقدرِ الَّذى يجعلُه غيرَ قادرٍ علَى فهمِه.. وفوقَ ذلكَ فإنَّ هَذا العقلَ.. يدركُ مقدرتَه علَى تقييدِه مرةً أخرَى.. فِي سكونِ اللاوعيِّ.. بالقوةِ المجمدةِ..

وكانتْ هَذه هيَ وســيلتَه.. لانتزاعِ مَا يريدُ مِن معلوماتٍ.. عنْ سرِّ تاريخِ المجراتِ.. جزرِ الكونِ الكبرَى..

وأخذَ التوترُ الَّذى يفوقُ قدرةَ الجنسِ البشرِي علَى تحملِّه.. ينمو داخل الكابتن (عادل أشــرف).. عندَما شاهدَ نفسَه عندَ بدايــةِ الطريقِ المؤدِّى إلَى السِّــرِّ الرَّهيبِ.. الَّذى اقتفَى أثرَه عبرَ المكانِ.. والزمانِ!

أطلقَ أفكارَه ببطءٍ شديدٍ:

- أيُّهَا الكائنُ.. يوجدُ لدىَّ شــيءٌ استطيعُ أنْ أقدمَه لكَ..

كمَا يوجدُ شيءٌ تستطيعُ أنتَ.. أنْ تعطَيه لِي..

تَريَّثَ كابتنُ الفضاءِ قليلاً ثمَّ أضافَ ببطءٍ:

-... هوَ المعرفةُ!

نطقَ الصوتُ المعدنيُّ للمترجمِ الآليِّ.. سَاخرًا:

- المعرفةُ! أنعطِي المعرفةَ الخاصةَ بسادةِ المجراتِ.. إلَى الجنسِ البشريِّ.. لكَي يستخدمُهَا فيمَا بعدُ.. ضدَنا!!

أجابَ الكابتنُ (عادل) بسرعةٍ:

- ليسَ هذَا النوعُ مِن المعرفةِ هوَ الَّذى نريدُه! فنحنُ لا نريدُ معرفةَ نوعِ الأسلحةِ والقوَى الَّتى لدَيكم.. وإنمَا الَّذى نريدُه هوَ معرفةَ تاريخِ المجراتِ.. ومَاضى السلالةِ الَّتى تنتمِى إليهَا.. جنسِ (شاندراكور).. وهَلْ يمكنُ تحقيقُ الاتصالِ بينَ الحضَارتين؟!

زَادتْ سخريةُ الكائنِ.. عبرَ جهازِ المترجمِ الآليِّ:

- هلْ يجبُ علىَّ أن أبلِّغ حكمةَ (الشاندَراكور) إلَى الجنسِ البشريِّ الضعيفِ! كلاَّ.. أبدًا..

وكانَ كابتنُ الفضاءِ متوقعًا لهذِه الإجابةِ.. فقالَ بثباتٍ:

- تذكرْ أننّى استطيعُ إعطاءك شيئًا مَا مقابلَ ذلكَ!

ردَّ صوتُ الكائنِ:

- ومَـا هوَ ذلكَ الشـيءُ الَّذى تسـتطيعُ إعطائـى إيَاه.. أيُّهَا الإنسانُ!

قالَ الكابتنُ (عادل) بسرعةٍ:

- الحريةُ!! فأنَا اسـتطيعُ تحريركَ مِـن القوةِ المجمدةِ.. الَّتى تحيَا فيهَا سجينًا.

واسـتطاعَ بهذهِ الكلماتِ.. أنْ يقنعَ الكائنَ الغريبَ.. وقَد عـرفَ ذلكَ مِنْ الحركةِ الدواميةِ المفاجئةِ.. لأغطيةِ الكائنِ.. وأحجبتهِ.. ومِنَ النبضاتِ الدوَّارةِ.. الَّتى سَرَتْ خلالِ الجسمِ المتماوجَ للمخلوقِ..

انطلقَ صوتُ (شيرين).. وأصبحَ وجهُهَا شاحبًا.. مُروَّعًا.. وهىَ تصيحُ:

– (عـادل)!! يجبُ ألَّا تحـرِّرَ هَذا الكائنَ.. حتَّى لَوْ كانَ ذلكَ فِي مقابلِ.. المعرفةِ!

صرخَ (شوقى):

– إنَّ هَذا جنونٌ.. بل انتحارٌ!

ولمْ يَستدرْ الكابتنُ (عادل) وهوَ يجيبُهم:

– إنَّنى لنْ أحررَه هنَا.. فلاَ داعىَ للجزعِ.. فسوفَ تحملُه مركبةٌ فضائيةٌ صغيرةٌ.. وهوَ لا يزالُ داخلَ حالةِ السـكونِ.. بعيدًا عبرَ أعماقِ المجراتِ.. ثمَّ تتولَى وسائلُ التحكمِ الآليةِ.. إزالةَ القوةِ المجمدةِ..

ثمَّ كرَّر الكابتنُ (عادل) للكائنِ مَا قالَه مِنْ قبلُ:

– الحريَّةُ!! ولَكِن ليسَ فورًا.. وإنمَا فِي آخرِ الأمرِ!

فأجَابَـه الصـوتُ المعدنـىُّ الكئيبُ للمترجـمُ التخاطرىِّ الآلىِّ:

– سـوفَ يحققُ لِي إخوَانـى ذلكَ.. عندمَـا يحضرونَ.. ويدمرونُكم!

أحسَّ الكابتنُ (عادل) بالدهشةِ.. إذْ لمْ يخمِّنْ الكائنُ الغريبُ.. كَمْ انقضَى مِنْ عصورٍ.. وهوَ مضطجع فاقدُ الوعىَّ.. مجمدًا!

وكَمْ مَرَّتْ من أحداثٍ خلالَ هذه العصورِ!

ردَّ كابتنُ الفضاءِ سَاخرًا:

– هَلْ حضرَ إخوانُك مِنْ قبلُ؟ أَمْ أنَّهم أَتوْا إليكَ بينمَا كنتَ راقدًا مجمدًا.. أسفلَ قاعةِ الشموسِ التسعينَ؟!

كانَ هنَاك ترددٌ واضحٌ.. وصمتٌ.. مِنْ جهةِ المخلوقِ الغريبِ.. وأخيرًا ظهرَ السؤالُ المضادُ:

– مَا هوَ الضمانُ الَّذى يجعلُكَ تنفِّذُ مَا اتفقنَا عليهِ.. أيُّها الإنسانُ؟

أضاءَ عقلُ كابتنِ الفضاءِ (عادل أشرف).. ابتهاجًا بالنصرِ.. أطلقَ أفكارَه بسرعةٍ:

– لاَ يوجدُ ضمانٌ.. مَا عَدا الوعدَ الَّذى أعطيتُه لكَ.. ولاَ يوجدُ أمامَك أىُّ خيارٍ آخرَ.

ردَّ الكائنُ الغريبُ بقسوةٍ:

– يجبُ أن أتحررَ.. لهذا سوفَ أثقُ بالإنسانِ.. وسأعطيكَ كلَّ ما عندي مِنْ معرفةٍ.. في مقابلِ الحريَّة..

أطلقَ (مارد) صوتًا يشبهُ الصفيرَ قائلاً:

– لقد حققنا ما نريدُ.. وانتصرنا عليهِ!

سألَ كابتنُ الفضاءِ:

– ما هوَ أصلُ جنسِ (شاندراكور)!

فكرَ الكائنُ الغريبُ طويلاً.. وهوَ يطوي أغطيتَه وأحجبتَه ثمَّ يبسُطهَا.. وأخيرًا جاءَ صوتُ المترجمِ المعدنيِّ الكئيبِ:

– نحنُ السلالةُ العظيمةُ (شاندراكور).. لسنا مِنْ نفسِ اللحمِ والدمِ اللذيْنِ تتكونُ منهما أجسامُكم.. كما أنَّنا لا نحيا مثلَ حياتِكم.. نحنُ لسنا أطفالاً لضوءٍ زائلٍ! وإنَّما للظلامِ الأبديِّ.. أجلْ.. نحنُ أطفالَ السديمِ المظلمِ وليسَ المجراتِ المضيئةِ! ولذا فلسنا مقيدين بعظامٍ صلبةٍ ولحومٍ لينةٍ.. التي سرعانَ ما تتقوضُ وتموتُ.. وإنَّما أجسامُنا تشبهُ السحبَ المعتمةَ دائمةَ التغييرِ.. حيثُ كانتْ نشأتُنا..

وشـعرَ كابتنُ الفضاءِ بصدمةٍ فِي الذاكرةِ.. فقدْ تذكَّرَ كيفَ أنَّ النظرةَ الأولَى لسـلالةِ (شـاندراكور).. جعلتْـه يقارنُهَا.. بالومضاتِ اللولبيةِ للسـدمِ المعتمةِ خارجَ المجرةِ.. والثقوبِ السوداء.. قبورِ الفضاءِ..

وكانَ يبـدُو أنَّ الصوتَ المعدنـيَّ للمترجمِ.. يزدادُ ارتفاعًا وافتخارًا:

-... إنَّنا جنسُ (شـاندراكور).. ذهبنَا منذُ زمنٍ بعيدٍ جدًّا مِـنْ مأوانَا المظلمِ فِي مجـرةِ (أندروميدا).. نحـنُ القَادرونَ علَى الطيرانِ فى الفضاءِ بأجسـامنَا.. ولسنَا فِي حاجةٍ لسفنٍ آليَّةٍ مجهزةٍ! وقَد احتللنَا مجراتٍ متعددةً للسـيطرةِ عليهَا.. والاحتفاظِ بهَا.. من أجلِ جنسـنَا.. وهكـذا أصبحتْ عوالمُ ضخمةٌ مِنَ النجومِ تحتَ سُلطانِنَا..

قاطعهُ كابتنُ الفضاءِ قائلاً:

- كلُّ شيءٍ مَا عَدا جنسِ (البورمو)! فَمنْ أينَ جاءتْ هَذهِ الكائناتُ؟

تحدَّثَ صوتُ الترجمةِ بكلماتٍ خفيضةٍ.. ومعَ ذلكَ كانتْ تنبضُ بالكراهيةِ.. المريرةِ..

– جنسُ (البورمو)! تلكَ المخلوقاتُ الضعيفةُ.. الَّتى تقلُ قيمتُها عنِ الغبارِ والَّتى ارتفعتْ منذُ الميلادِ الأولِ لهَا.. كتحدٍ نهائيٍّ لنَا..!

تصلبتْ ملامحُ كابتنِ الفضاءِ (عادل).. كأَنَّ مداخلَ المَاضى السحيقِ.. المفقودِ فى تاريخِ الكونِ.. قد فتحتْ مصاريعَها تمامًا أمامَه:

– حدثْنى عنهُم أكثَر..

جاءتْ الإجابةُ بطيئةً حزينةً:

– كمَا قالتِ الأساطيرُ.. كَانوا مَوجُودين قبلَ جنسِ (شاندراكور).. وهُمْ لاَ يشبهوننَا.. ولا يشبهونَ أىَّ سلالاتٍ أخرَى.. كَانوا علَى قدرٍ كبيرٍ مِنَ الحكمةِ.. إلَّا أنَّهم كانوا سَابحين فِى دنيَا الخيالِ.. كَانوا يحلمُون بكونٍ تحكمُه العدالةُ تمامًا.. وقدْ شرَعوا فِى إنجازِ ذلكَ.. إلَّا أنَّهم عجَزوا!

فعَـادوا إلَى كواكبَهم الخفيةِ.. وهُمْ فِى حالةِ إحباطٍ! إذْ إنَّهم لمْ يسـتَطيعوا التكيُّفَ معَ القوَى والظـروفِ المتغيرةِ.. لكافةِ إمبراطورياتِ الفضاءِ.. فِى الكونِ!

وعندمَا توقفَ الصـوتُ الآلىُّ لجهازِ المترجمِ التخاطرىِّ.. أحسَّ كابتنُ الفضاءِ برعشةٍ عنيفةٍ فى أعصَابِه..

لقَـد تبددَ غموضُ وسـرُّ الكـونِ أخيرًا.. فهنـاكَ كائناتٌ أخرَى.. أقوَى.. ورُبَّما أذكَى مِنَ الجنسِ البشرىِّ.. وقَدْ عاشَ الإنسـانُ لزمنٍ طويلٍ.. يظـنُّ أنَّه العاقلُ الوحيـدُ فِى الكونِ كلِّـه.. كانتْ هنَاك إذنْ أجنـاسٌ أخرَى.. تملكُ بذرةَ القوةِ.. والقدرةِ.. وهىَ الَّتى رُبَّما اسـتطاعتْ فِـى يومٍ مَا.. أن توحِّدَ الكونَ.. وإمبراطورياتِ الفضاءِ تحتَ ظلِّ قانونِ العدالةِ!

وأدركَ كابتـنُ الفضـاءِ (عادل).. أنَّه يَبـدو أنَّ خلفَ هذا الكائنِ الغريبِ.. أسرارًا أعمقَ وأكثرَ غموضًا!

همستْ (شيرين) متهيبةً:

- إذنْ هَذا هوَ سرُّ الكونِ.. الَّذى يعيشُ فيهِ الإنسانُ!

تساءلَ كابتنُ الفضاءِ قائلاً:

– مَا هوَ موطنُ جنسِ (البورمو)؟

جاءتِ الإجابةُ سريعةً.. حاسمةً:

– إنَّ هَذا الأمرَ لا يعلمُه حتَّى سلالةُ (شاندراكور).. ولوْ أنَّه توجدُ عاداتٌ وتقاليدُ!

وهنَا انتهَى الحديثُ المترجَمُ مِنَ المخلوقِ الغريبِ.. ثمَّ هيمنَ جمودٌ متوترٌ غيرُ عاديٍّ.. علَى أغطيتِهِ وأحجبتِهِ الدواميةِ..

وتابعَ كابتنُ الفضاءِ حديثَه بصوتٍ أجَش:

– مَـا هيَ هذهِ العاداتُ والتقاليدُ؟ تحدَّثَ إذا كنتَ ترغبُ فِي أنْ تنالَ حريتكَ!

وكانَ غافلاً.. عنْ شـبحٍ رماديٍّ صغيرٍ.. انسـلَّ إلَى داخلِ الحجرةِ فِي صمتٍ..

وفجـأةً.. تحـدَّثَ الصـوتُ المترجـمُ للكائـنِ الغريبِ.. بسرعةٍ:

– سـوفَ أخبرُك بمَـا أعرفُـه.. فرُبَّمَا يجيـبُ ذلكَ عنْ أسئلتِكَ.. استمعْ إلَيَّ جيدًا!

انحنَى الجميعُ فِى اهتمامٍ إلَى الأمامِ.. وهُمْ متلهِفون لسماعِ كلِّ كلمةٍ..

وقـدْ رأى كابتنُ الفضاءِ (عادل) بعدَ ذلكَ منْ ركنِ عينَيهِ.. حركةً مفاجئةً! إذْ شـاهدَ (زومر) الكائـنَ القمرىَّ الصغيرَ.. مندفعًـا خلسـةً.. ولكنْ بسـرعةٍ خاطفةٍ.. نحوَ (شـيرين)! وسـبَّبَ لَه هَذا الإدراكُ صدمةً مباغتـةً.. فقفزَ نحوهَا.. وهوَ يصيحُ ليحذرَها.. وكَانَ يعلمُ عندمَا فعل ذلك.. أنَّ السـهمَ قَدْ نفذَ! وأنَّه ارتكبَ خطأ قاتلاً!

لقدْ نَسِـى العقلَ التخاطـرىَّ.. ذَا القدرةِ العاليةِ.. الخاصَ بالمخلـوقِ القمـرىِّ (زومر).. ولاَ ريـبَ أنَّ الكائنَ الغريب.. الَّـذى يربضُ داخلَ القفصِ البلُّـورىِّ.. حوَّله.. ووجدَ الأداةَ المستقبلةَ.. التى ليسَ لهَا خطٌّ دفاعىٌّ..

وكَان كلُّ هَـذا الحديثِ السـريع.. والوعدِ بالجزءِ الأخيرِ مـن المعرفةِ.. مقصـودًا بهِ صـرفَ انتباهِهم.. عمَّا سـوفَ يحدثُ!!

قفزَ (زومر) مباشرةً.. نحوَ وجهِ (شيرين)! وأمسكَ (عادل) فكَّاه..

بماسةِ القوةِ.. وألقاهَا بعيدًا عن رأسِ (شيرين).. وسقطَ (زومر) علَى الأرضيةِ آخذًا الماسة معَه.. ومكثَ طيِّعًا للحظاتٍ!

واندفعَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) اندفاعًا خاطفًا.. كومضةِ البرقِ نحوَ (شيرين).. ولأنَّهَا استدارتْ بسرعةٍ.. فى اللحظةِ التى تركتْهَا الهالةُ الواقيةُ.. فقدْ اتجهتْ نحوَ المقاومةِ المتغيرةِ.. للقفصِ البلَّلوريِّ! ولمْ يعدْ الكائنُ الغريبُ فِى حاجةٍ للمخلوقِ القمريِّ.. إذْ أصبحَ يمتلكُ أداةً أفضلَ منهُ!

وبسرعةٍ خاطفةٍ.. فتحتْ (شيرين) بيدَهَا.. المقاومةَ المتغيرةَ.. إلى آخرَ مداها.. فِى لحظةٍ واحدةٍ! وصارَ الكائنُ الغريبُ.. خارجَ قضبانِ القفصِ البلَّلوريِّ.. فِى أقلِ منْ ثانيةٍ.. ثمَّ أمسكَ بـ (شيرين)! وعندئذٍ.. التفَّتِ الأغطيةُ.. والأحجبةُ الداكنةُ.. بسرعةٍ.. وطوقتْ (شيرين) وهىَ واقفةٌ.. تكادُ لاَ تَعى شيئًا ممَا يحدثُ لهَا..

قفزَ كابتنُ الفضاءِ إلى الأمامِ.. وهوَ يصرخُ بصوتٍ أجشَ.. وزأرَ (مارد).. وصاحَ (شوقى).. واقتربَ الكمبيوترُ الطائرُ لكنَهم تراجَعوا.. وتقهقَروا مِن جرَّاء مَا كَان يحدثُ لـ (شيرين)!

فقدْ بدأَ الكائنُ الغريبُ الضبَابيُّ.. يتَلاشى داخلَ جسمِهَا.. وأخذتِ الأغطيةُ والأحجبــةُ الداكنةُ.. حتَّى القلبُ المركزيُّ الأكثر كثافةً وظلامًا.. تغوصُ فِي لحم وجسد (شيرين)!

تذكَّــرَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) مَا قرَأَه.. فوقَ جدرانِ المدينةِ القديمةِ فى مجرّةِ (أندروميدا):

– إن ماســاتِ القــوةِ.. هــىَ الحمايةُ ضدَّ قــدرةِ الامتلاكِ الكلىِّ!..

الامتلاكُ الكلىُّ!!.. احتلالِ أجسادِ الكائناتِ الأخرَى!!

لقــدْ أدركَ الكابتــنُ (عادل) حينئذٍ بوضــوح.. وهوَ يعانِى العذابَ الشديدَ.. مَا الذى كانتْ تعنيه النقوشُ.. والسجلاتُ المحفورةُ..

لمْ يكنْ مجردَ امتلاكٍ فكرىٍّ.. وإنمَا جسدىٍّ أيضًا.. احتلالٌ لجســم الضَّحيةِ.. بفعلِ قوَّةٍ جبَّارةٍ غيرِ بشــرِّيةٍ.. لا يعرفُهَا الإنسانُ.. تتلاعبُ بالجسيماتِ دونَ الذريةِ.. الماديةِ!

★★★

وقفتْ (شـيرين) أمَامهم.. بوجهٍ شاحبٍ.. يُشبهُ القناعَ.. وعينَـيْـنِ غائرتَـيْنِ.. بظـلالٍ دوارةٍ.. كالدوامةِ.. وهىَ تنظرُ لكابتنِ الفضاءِ.. وقدْ هدَّته الصدمةُ.. وخرجتْ مِنْ بينِ شفتيهَا المتيبستيْن.. كلماتٌ ساخرةٌ.. لا تنتمِى لهَا فِى الحقيقةِ:

- والآنَ.. أيُّها الإنسانُ.. سوفَ أنالُ حرَّيتى!!

(٦)

عندمَـا كَانوا وَاقفِين.. جَامدِين.. مَذهولين.. خطرتْ لذهنِ الكابتنِ (عادل).. الحقيقةُ المروعةُ..

إنَه أخيرًا أخفقَ فِى تحقيقِ هدفِه.. لشدةِ التلهفِ عليهِ!

لقـدْ انطلقَ أفرادُ دوريةِ الفضاءِ فـى أعماقِ الكونِ.. خلالَ السـنواتِ الَّتى قَاموا فيهَا بمغَامراتِهم.. واجهُوا فيهَا العديدَ مِنْ الأعدَاءِ.. والخصومِ الخَطيرينَ.. وتغلبُوا عليهِم ..

ورُبَّما أنَّ ذلكَ عوَّدهمَ علَى فرطِ الثقةِ.. وجعلَهم يجرُؤن علَى مواجهةِ أخطرِ أعداءِ الإنسـانِ.. علَى مدَى سـنواتٍ طويلةٍ.. ومجابهـة كائنٍ غريـبٍ.. بَقِىَ علَى قيدِ الحيـاةِ من العصورِ القديمةِ.. كَان شيئًا تافهًا بالنسبةِ لَهم!

همسَ (شوقى) ووجهُهُ يُشبهُ الأمواتِ:

– لقدْ استولَى علَى (شيرين).. انقضَى الأمرُ ، ولمْ يعدْ لدينَا مَا نستطيعُ عملَه!

(شيرين)! ليستْ (شيرين).. هىَ تلكَ الدميةُ الجامدةُ.. ذاتُ الوجهِ المظلم والعينيْنِ المعتمتيْن.. الَّتى تقفُ أمامَهم فِى تحدٍّ.. وليستِ الكلماتُ الساخرةُ الَّتى سمعوهَا.. هىَ كلماتِ (شيرين):

– هلْ استطيعُ إمدادَكم بمزيدٍ منَ المعلوماتِ أيُّهَا البشرُ؟ قبلَ أنْ أعودَ مسرعًا لأنضمَ ثانيةً معَ إخوَانى فِى الحربِ الدائرةِ.. ضدَ جنسِ (البورمو)! وأدركَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) أن الكائنَ الغريبَ سوفَ يدمرُهم.. قبلَ رحيلهِ إلَى أعماقِ الكونِ..

وكَان من الممكنِ تحقيقُ ذَلكَ.. باستخدام (شيرين) كسلاحٍ!

ولَمْ تكنْ هناكَ إلا وسيلةٌ واحدةٌ لإيقافِ ذلكَ.. وهىَ تدميرُ الأداةِ الَّتى سوفَ يستخدمُهَا.. أى قتلِ (شيرين)!!

وجاءَ الصوتُ المدوىِّ للروبوتِ العملاقِ (مارد).. محاطًا بالشكِّ:

- أيُّها الرئيسُ.. مَاذا نفعلُ؟!

وكَان الجميعُ مدركين للطريقِ الرهيبِ.. المسدودِ! وأنَّ شيئًا واحدًا.. يستطيعُ إيقافَ الكائنِ الغريبِ ولكنَهم لا يقدرُون علَى عملِه.. حتَّى لوْ كانَ الموتُ الفوريُّ.. ينتظرُهم!

اندفعَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) بغضبٍ.. مُوجهًا لنفسهِ اتهامًا مؤلمًا.. فقد أدَّى تهوُّرُه.. وشغفُه الشديدُ الزائدُ لحلِّ غموضِ الكائناتِ الذكيةِ فى الكونِ.. ومحاولةِ التقاءِ الحضارةِ البشريةِ معهَا.. إلى وضعِ هذه النهايةِ لأفرادِ دوريةِ الفضاءِ.. و (شيرين) و (شوقى). يجبُ ألَّا يحدثَ هذا لهمَا!

وشملَه الغضبُ القديمُ.. العاطفة.. التى ليست إحساسًا بشريًّا.. وإنما شعور خالٍ مِن الشفقة! تعلَّمه من مدرسيهِ الغربَاء.. منذُ زمنٍ بعيدٍ.. فوقَ سطحَ القمرِ!

خرجَ من الشفتَين المتيبستَين لـ (شيرين) كلامٌ ساخرٌ آخر.. للكائنِ الغريبِ:

- أسرعْ أيُّها الإنسانُ! مَا هىَ أسئلتُك؟ فإنَّ إخوانى ينتظرونَنى فِى المعركةِ الكبرَى بينَ المجراتِ!

ومضتْ فى ذهنِ كابتنِ الفضاءِ (عادل).. فكرتَانِ متزامنتَانِ.. الأولَى.. أنَّ الكائنَ عادَ يتحدثُ مرةً ثانيةً.. ليشتتَ أفكارَهم.. ويتحركَ داخلَ جسم (شـيرين) خلسةً.. بحيثُ ينتزعُ منهم ماساتِهم الواقيةَ.. ليصبُحوا تحتَ سيطرتِه تمامًا!

والفكـرةُ الثانيةُ.. هـيَ لمحةٌ عبرتْ عقلَـه.. مثلَ ومضةِ ضوءٍ خفيفـةٍ لأملٍ ضعيفٍ.. فقد أدركَ كابتنُ الفضاءِ (عادل) بأنَّـه يتفـوَّقُ علَى الكائنِ الغريبِ.. فى أمـرٍ مَا.. ويجبُ أن يسـتخدمَه كسلاحٍ ضدَّه، وليسَ هَذا السـلاحُ ماديًّا.. إذْ إنّه لا يسـتطيعُ تدميرَ الكائنِ.. دونَ قتلِ (شـيرين)! وإنمَا كَان سلاحهُ الأخيرُ.. خطةً نفسيةً!

تحدَّثَ كابتنُ الفضاءِ قائلاً:

– أيُّهَا الكائنُ! ارجعْ إلَى إخوانِك منْ جنسِ (شاندراكور).. إذَا كنتَ تستطيعُ العثورَ عليهم! عُدْ إلَى مجرة (أندروميدا).. لتحتفلَ بالانتصارِ علَى جنسِ (البورمو)!

أوقفَ الكائنُ الغريبُ حركتَه المتسللةَ الماكرةَ.. فقدْ لاحظَ شيئًا فى تفكيرِ كابتنِ الفضاءِ..

استطردَ الكابتنُ (عادل) قائلاً:

-... أتدرى كَمْ من الوقتِ ظللتَ فيه مُجمَّدًا أسفلَ قاعةِ الشموسِ التسعين؟ هلْ هىَ سنواتٌ؟ أم قرونٌ!.. وخلالهَا لمْ يحقِّقْ إخوانُك النصرَ.. بل لاَقوا الموتَ! لقدْ هَلكوا منذُ زمنٍ طويلٍ جدًّا.. وهمْ غيرُ معروفِين فى الكون!

تريَّثَ كابتنُ الفضاءِ للحظاتٍ ثمَّ أضافَ:

-... وأنتَ آخرُ كائنٍ فى سلالةِ (شاندراكور)!!

ظهرَ الازدراءُ والغضبُ فِى كلماتِ الكائنِ.. الَّتى جاءتْ على شفتىْ (شيرين):

- هَذا كذبٌ وافتراءٌ! فلمْ يستطعْ أىُّ جنسٍ أن يتفوقَ علَى (الشاندراكور)!

أجابَ الكابتنُ (عادل) بسرعةٍ:

- لقدْ حدثتْ أمورٌ كثيرةٌ.. بينمَا كنتَ نائمًا مجمَّدًا! والآنَ لا يعيشُ فى أى مجرةٍ أحدُ كائناتِ جنسِ (شاندراكور).. إلَّا أنتَ!!

صمتَ للحظةٍ ثمَّ قالَ:

-... إنَّ النقوشَ والسجلاتِ فوقَ جدرانِ المدنِ القديمةِ فِي كواكبَ مجرةِ (أندروميدا) تؤكدُ ما أقولُه لكَ.. إنَ السلالةَ الَّتى تنتَمى إليهَا.. لمْ يعدْ لهَا وجودٌ!

انطلقَ من شفتىْ (شيرين).. سيلٌ من كلماتِ الكائنِ المتلاحقةِ:

- هذِه خدعٌ وأكاذيبُ! إنَّنى اعتقلتُ هذِه الفتاةَ.. وسيطرتُ علَى مخِّهَا وعقلِهَا وذكرياتِهَا.. ولاَ أرىَ داخلهَا أيًّا من المعلوماتِ التى تزعمُهَا!

وكانَ هَذا هوَ ما يتمنَاه كابتنُ الفضاءِ.. وبدأَ يكثفُ من هجومِهِ النفسىِّ.. فورًا:

-... إنَّها لمْ تذهبْ إلى مجرةِ (أندروميدا) أبدًا.. ولهَذا لمْ تشاهدْ السجلاتِ والنقوشِ! وإنَّما أنَا الذى رأيتُ.. ويمكنُنى أنْ أثبتَ لكَ كلَّ مَا قلتُه!

جاءَ الردُّ ساخرًا:

– إنكَ لا تستطيعَ إثباتَ ذلكَ!

فقالَ كابتنُ (عادل) ووجهُه شاحبٌ كالرخامِ:

– بـل اسـتطيعُ! دَع الفتـاةَ.. واسـتولِى على جسـمِى أنـا.. وابحـثْ فى عقلِـى وذكريَاتى عمَّا شـاهدتُه.. وهكَذا تعرفُ الحقيقةَ!

انتظرَ كابتنُ الفضاءِ الإجابةَ.. وهوَ فى حالةِ توترٍ شـديدٍ.. فهوَ يعلمُ أنهَا فرصتُه الوحيدةُ.. والأخيرةُ لإنقاذِ (شـيرين).. من بينِ براثنِ هَذا الكائنِ الرهيبِ..!

(٧)

دارتِ الظلالُ فى عينىْ (شـيرين) الشَـاحبتين.. بحركةٍ دواميةٍ.. وأدركَ كابتنُ الفضاءِ أنَّه قد نجحَ فى زرعِ شكٍّ رهيبٍ فى عقلِ الكائنِ الغريبِ.. فهلْ يطردُ هَذا الشكَّ ويرفضُه؟

ولكـن لا يوجـدُ مخلـوقٌ فـى الكونِ كلِّـه.. تكلَّـمَ بهَذا الحبِّ.. والفخرِ عن بنِى جنسِـه.. ثمَّ يتحملُ أن يبقَى طويلاً يساورُه الشكُّ!

ضحـكَ كابتنُ (عـادل) بصوتٍ لا تستسـيغُه الأذنُ.. فى هَـذا الصمتِ المطبقِ، ورفعَ يدَه بحركةٍ سـريعةٍ.. وأمسـكَ بماسةِ القوةِ من علَى رأسهِ.. وقذفهَا بعيدًا.. ثم وقفَ أعزلَ.. دونَ أىِ حمايةٍ!!

وضحكَ مرةً أخرَى.. مواجهًا الظلالَ الداكنةَ.. الظاهرةَ فى عينىْ (شيرين):

-... إنَّنى أقدمُ لكَ سـلاحًا قويًّا.. ضِد رفَاقى.. أقوَى من ذلـكَ الذى تحملُـه.. وأنتَ لا تزالُ متـرددًا فى أن تأخذَه! أنتَ خائفٌ إذنْ من معرفةِ الحقيقةِ!

همسَ الصوتُ الغريبُ.. من بينِ شفتىْ (شيرين):

- كلاَّ.. إن جنسَ (شاندراكور) لا يعرفُ الخوفَ!

وصارتِ الخطوطُ الخارجيةُ المشوهةُ.. والمطموسةُ تمامًا.. لجسم (شيرين).. غيرَ واضحةِ المعالمَ.

ثـمَّ أخـذتْ تتدفقُ تدريجيًّـا.. كلَّما تنقلتْ هَـذه الثنائيةُ الغريبـةُ.. والمروعةُ.. واتخذَ الظلُّ المحجـبُ.. والمُغطَى.. شكلاً خاصًّا بهِ وهوَ يدورُ كجسمٍ صلبٍ فى حركةٍ دائريةٍ..

وأخيرًا.. انقشعت الغمةُ.. وأصبحتْ (شيرين) حرَّةً!!

وسـقطتْ بعدَ ذلكَ.. وهيَ تصدرُ أنينًا خافتًا.. علامةً على اقتحامِهَا.. عالَمَ اللاوعيِّ..

وأخـذَ الكائنُ الغريبُ.. يحومُ حولَ المـكانِ.. ثمَّ بدأَ فى الحركـةِ.. أخـذَ الروبوتُ العمـلاقُ (مارد).. خطـوةً كبيرةً للأمـام.. واقتربَ الكمبيوترُ الطائرُ.. إلَّا أن كابتنَ الفضاءِ قالَ بصوتهِ الحادِ القاطع:

– توقفَـا! سـوفَ أقومُ بهَـذا العملِ بطريقَتِـى الخاصةِ! وأطـاعَ كلٌّ منْ (مارد) و(نبيل).. ففى هَـذه المعركةِ القائمةِ بين عقلَينِ.. للفوزِ بالسـيادةِ.. والتفوقِ.. فإنهمَا لا يستطيعانِ تقديمَ المساعدةِ الحاسمةِ..

راقبَ كابتنُ الفضاءِ (عادل).. هذَا الشكلَ المظلمَ.. الداكنَ.. القادمَ بسـرعةٍ.. وفى هذِه اللحظاتِ شعرَ بالخوفِ.. الَّذى لمْ يشـعرْ به إنسـانٌ منذُ العصورِ القديمةِ عندَما نشـبتْ حروبُ الفضاءِ.. عبرَ نصفِ الكونِ..

تموجتِ الأغطيةُ السوداءُ.. واتَّسعتْ.. وغطَّاه الظلُ المجَّسمُ.. مانعًا الضوءَ من الوصولِ إليهِ.. وكَان كلُّ قلبِ الكائنِ الغريبِ.. يلمعُ فى ثباتٍ.. ومجموعةٌ من الومضَات الصغيرةِ المظلمةِ.. فى حالةِ حركةٍ دائمةٍ.. وسَرعانَ مَا أخذتِ الظلالُ المجسمةُ.. تدورُ وتنعطفُ حولَه.. فيمَا يشبهُ القناعَ الداكنَ.. ثمَّ أصبحَ الكائنُ الغريبُ داخلَه.. فى لحمهِ.. وعظامهِ.. ومخهِ.. فى خلايَاه.. وأعصابِه.. مُباعدًا بينَ ذراتِ مادتهِ الفعليةِ.. بحيثُ تتداخلُ مع جسيماتِه.. ممَا جعلَ كابتنَ الفضاءِ.. يصيحُ من شدةِ الألمِ.. غيرِ الإنسانىِّ.. إلَّا أنَّه كانَ بلاَ صوتٍ!

ووقعَ الصدامُ بينَ عقليهمَا.. وكانَ ذلكَ بالنسبةِ لكابتنِ الفضاءِ (عادل أشرف) مثلَ انفجارِ نَجْمٍ.. نوفَا.. ولكنَّه باردٌ إلَى حدٍ بعيدٍ.. داخِلَ عقلِه..

اضطربَ الكونُ.. ثمَّ أظلمَ تمامًا! صارَ الاثنانِ واحدًا.. كابتنُ (عادل) والكائنُ الغريبُ.. وقدْ حدثَ ذلكَ بعيدًا

عن دائـرةِ الزمنِ.. وانفتحَ عقلُه للكائـنِ.. وحياتُه بأكملِها.. وكلُّ شيءٍ كَان قد فكرَ فيهِ.. ونفذَه.. وشاهدَه.. سواءٌ نسيَه.. أو تذكرَه..

كمَا أنَّ عقلَ الكائنِ الغريبِ أيضًا.. صارَ مفتوحًا لَه بسببِ هَذا التوحدِ الخارقِ للطبيعةِ.. لمْ يستطعْ كابتنُ الفضاءِ (عادل).. أن يفهمَ كلَّ مَـا وجدَه.. إذْ كانَ الكثيرُ من المعلوماتِ مبهمًا لأيِّ إنسـانٍ.. وبدَا عقلُ الكائنِ أطولَ عمـرًا.. وأقوَى قدرًا.. بدرجةٍ هائلةٍ.. بحيثُ كانَ شـعورُ كابتـنِ الفضاءِ.. نوعًا من رهبةِ التضاؤلِ.. فى وجودِ الكائنِ الغريبِ..

ولمْ يكنْ عقلُه شـريرًا.. وإنمَا فقطْ عقلاً مختلفًا تمامًا! وهوَ الآنَ يشـاركُه فى بعضِ ذكرياتِه.. فالطيرانُ الحرُّ الخاطفُ.. علَى امتدادِ شواطئِ السديمِ المظلمِ.. وكأنهَا شواطئُ الأبديةِ.. والاندفاعُ المتهورُ.. نحوَ أعماقِ الكونِ.. العوالمُ السـحابيةُ.. للضبابِ والنارِ الباردةِ.. والغموضُ.. والمهابةُ.. والروعةُ لعظمةِ الكـونِ.. الأفكارُ البهيجـةِ.. والمقاومةُ المقيـدةُ.. الوحدةُ..

ومعرفةُ الخوفِ.. والقشعريرةُ.. والزهوُ والكبرياءُ.. بالانتسابِ للنجومِ.. وإمبراطورياتِ الفضاءِ!

★★★

كانـتْ هَذه لمحاتٍ.. ونظراتٍ خاطفةً.. لكنهَا تكفِى لكى يتوقفَ القلبُ الإنسـانى.. من شدةِ الدهشةِ.. وبعدَ ذلكَ رأىَ الآنَ ذكرياتِـه الخاصةَ.. تعودُ إليـهِ.. من خلالِ عقلِ الكائنِ الغريبِ.. الذى كانَ يتفحصُه بدقةٍ.. بحثًا عن الحقيقةِ..

إن الكائنَ الغريبَ شاهدَ عوالمَ هالكةً.. وخاويةً.. وكواكبَ مهجورةً.. وقاعةَ التسعينَ شمسًا.. والمزاراتِ القدسيةَ للمجدِ المَاضى.. الذى طوَاه النسـيانُ.. وأيضًـا النقوشَ التى كانتْ تتحـدثُ بجـلالٍ عن الحـروبِ الكونيـةِ.. والأجناس التى انقرضـتْ.. وهلكتْ منذُ زمـنٍ بعيدٍ.. وسـجلاتِ الموتِ.. والهزيمةِ.. والسجلاتِ التذكاريةِ.. لإمبراطوريةِ الفضاءِ..

وكانَ شـعورُ الكابتنِ (عادل) ممتلئًا بالرهبةِ.. عندمَا اطَّلعَ علَى كلِّ هذِه الأسـرارِ الكونيةِ.. إنَّ التِّيه.. والزهوَ.. والثقةَ..

كلهَا اهتزتْ كثيرًا.. بسبب نذرٍ يسيرٍ من المعرفةِ.. والظهورِ القاسِى الذى لا يرحمُ.. للحقيقةِ!

وشعرَ كابتنُ الفضاءِ.. باللحظةِ التى توقفَ فيهَا الكائنُ.. عن الرجاءِ والأملِ:

- إنَّنى حقًّا الأخيرُ! فقد هلكتْ سلالةُ (الشاندراكور).. وأنَا آخرُهَا!

وفى الحالِ.. تراختِ القبضةُ الرهيبةُ المتواصلةُ.. التى كانتْ تحيطُ بعقلِ كابتنِ الفضاءِ (عادل أشرف).. ثمَّ ضعفَ وجودُ الكائنِ.. داخلَ جسدِهِ.. وهُزمَ تحتَ وطأةِ الحقيقةِ المروِّعةِ.. وبدَا كما لو كانَ الكائنُ.. قد ماتَ!

وكانَ الكابتنُ (عادل) يعرفُ وحشةَ اليأسِ المطبقِ.. والوحدةِ المطلقةِ!

مرتْ فترةٌ وكأنهَا بلاَ نهايةٍ.. تلكَ التى استغرقهَا الكائنُ الغريبُ.. قبلَ أن ينشطَ.. ويتحركَ.. ثمَّ أخذَ ينسحبُ بمادتهِ الضبابيةِ من جسمِ وعقلِ كابتنِ (عادل).. ببطءٍ شديدٍ.. متناهٍ.. كانمَا قد مسَّته يدُ الموتِ..برقةٍ.. تركَه.. وأصبحَ طليقًا..

وكانـتْ أحجبةُ الكائنِ المعتمةِ.. تشـبهُ عبـاءاتِ الدفنِ المطويةِ.. طيًّا حزينًا.. حولَ قلبهِ!

وتحـدَّثَ الكائـنُ.. بآخر ومضةٍ مـن الفخـرِ.. والزهوِ.. الزائِليْن.. وخرجتِ الكلماتُ قويةً حادةً.. من جهازِ المترجمِ الآليِّ التخاطريِّ:

– لقد هَزَمَنا الزمنُ!!

وكانَ الأمرُ العجيبُ.. أن كابتنَ الفضاءِ (عادل أشـرف).. لمْ يعدْ يشـعرُ بالخوفِ أو الكراهيةِ.. تجاه الكائنِ الغريبِ.. بلْ بالشفقةِ.. والأسَى..

قالَ الصوتُ المعدنيُّ الكئيبُ لجهازِ المترجمِ الآليِّ:

–... انتهتِ المعركةُ الكونيةُ الأخيرةُ! وطُويَتْ صفحاتُها.. وأنا آخرُ من بَقِيَ من كلِّ سلالةِ (الشاندراكور) العظيمةِ!

ارتعـدتِ الأحجبةُ المظلمةُ.. وتحركتْ حركةً دوَّاميةً.. وهيَ تغطِي.. وتغلفُ قلبَ الكائنِ الغريبِ.. وكانَ يَبدو أنَّه ينظرُ حولَه.. ولكن ليسَ تجاهَ كابتنِ الفضاءِ (عَادل) أو (شـيرين) أو (شوقى) أو (مارد) أو (نبيل).. وإنمَا نحو شيءٍ ما بعيدٍ.. وراءَهم!

وأدركَ كابتــن (عادل) مدى عظمةِ هَــذا الكائنِ الغريبِ، عندما سمعَه يقولُ:

-... سوفَ أعودُ إلى مســقطِ رأسِ قومى.. السديم المظلم داخلَ مجرةِ (أندروميدا).. الذى أعطَانَا الحياةَ.. سَأرجعَ إلَى إمبراطوريةِ الفضاءِ.. شواطئِ الأبديةِ.. فمنِ المناسبِ أن يعودَ آخرُ سلالتِنَا إلى هنَاك.. حيثُ تكونُ نهايتُه.. وَداعًا!

وانسلَّ الشكلُ الضبابىُّ الأسودُ.. من بينِهم مبتعدًا.. تحركَ وفقًــا لمَا يُمليه عليهِ.. قدرُه التعسُ.. واتجَه بدونِ انحرافٍ.. وبلا تعجلِ.. إلى خارجَ الغرفةِ..

ورَاقبهُ فى أثناءِ خروجهِ.. كابتن الفضَاء والآخرونَ.. حيث عبــرَ الكائنُ الحجرةَ المركزيَّة الكبيــرةَ بالمختبرِ.. ثم انطلقَ بعيــدًا.. حتَّــى غابَ عنِ النظــرِ.. منْ خلالِ الممــرِّ المؤدِّى لأعلَى.. إلى سطح القمر..

أنصَتُــوا جميعًا.. إلا أنهم لمْ يســمعُوا أىَّ أصواتٍ لأبوابٍ تُفتح.. أو تُغلق.. وكانتْ (شيرين) محمُولةً بينَ يدَىِ الروبُوتِ العملاقِ (مارد).. وفِى حَالة دوَار شديدٍ..

أشارت فجأةً لأعلَى وهمسَت:

– انظُروا.. هناكَ بينَ النجوم..

نظرُوا جميعًا.. منْ خلالِ قبةِ سقفِ المُختبرِ الزجاجيَّةِ.. ورَأى كابتن الفضَاء.. الكائنَ الغريبَ.. المتشامخَ.. والممتلئَ فخرًا..والذِى راقبَ مولدَ إمبراطوريَّة الفضاءِ.. وشاركَ فِى السيطرةِ على عشرَات النجوم..

ارتفعَ الكائنُ ببطءٍ.. ومهَابة.. باسطًا أغطيتَهُ.. كأنهَا أجنحَةٌ.. نحوَ أعماقِ الكونِ.. متجهًا لأعْلى.. إلى حيثُ لا يعلمُ أىُّ إنسانٍ.. بدَا شكلاً مُظلمًا وحيدًا.. مندفعًا إلى اللَّانهاية!!

قالَ كابتنُ الفضاءِ (عادل أشرف) بغمُوضٍ:

– فى مكانٍ مَا.. هناكَ فى مجرَّة (أندروميدا).. حيثُ يتجهُ الكائنُ الغريبُ.. آخرُ سلالةِ الجنسِ العظيم (شاندراكور).. يوجدُ عالمٌ غامضٌ.. لنْ نراهُ مُطلقًا.. وإنمَا نَحنُ نعرفهُ فقط!!

امتــلأ الجميــعُ بأفكارٍ كونيَّــةٍ.. عَجيبةٍ.. أقــوَى منْ أىِّ حديثٍ.. وهمْ يراقبونَ الســماءَ.. فِى ذُهولٍ.. ظلامٌ يفضِى إلى ظــلام فى أعماقِ الكــونِ.. حيثُ كَانت تزدهــرُ يومًا.. مَا.. إمبراطورَياتُ الفضاءِ.. بعيدًا هناكَ..

عندَ شواطئِ الأبديَّة!

★★★